نبوءة السيليكون

رواية

أحلام المقالح



نبوءة السيليكون

بيانات رواية نبوءة السيليكون:

- الرواية: نبوءة السيليكون
- الكاتبة: أحلام المقالح
- النوع: رواية
- مراجعة وتدقيق النص وتصدير الغلاف: رياض الحَمّادي
- لوحة الغلاف بالذكاء الاصطناعي: رياض الحَمّادي
- تنفيذ الغلاف: أمنية محمد
- إخراج داخلي: سليل الفراعنة
- سنة الإصدار: ٢٠٢٦
- الناشر: مؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية، سبتمبر ٢٠٢٦
- رقم الإيداع في الهيئة العامة للكتاب، صنعاء: ٤٢٧ لسنة ٢٠٢٦.

فازت هذه الرواية بجائزة السرد اليمني (حَزاوي)، الدورة الرابعة ٢٠٢٥، برعاية بنك اليمن والكويت. والرواية متخيل أدبي ولا تُعبر بالضرورة عن رأي كاتبها ولا رأي الجائزة وممولها.

حقوق هذه الطبعة محفوظة لمؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية وللمؤلف. يُسمح الاقتباس في حدود الدراسات والمقالات مع ضرورة الإحالة إلى اسم الكتاب والكاتب وناشره "مؤسسة حزاوي للتنمية الثقافية"، ما عدا ذلك من استعمالات يُرجع للناشر وللمؤلف لأخذ إذن خطي.

YKB
بنك اليمن والكويت يُلهم المستقبل
YKB Inspiring the future
yk-bank.com

حزاوي
HAZAWI
جائزة السرد اليمني

(روايـــــــة)

نبوءة السيليكون

"حين تبرمَج الحياة، يصبح الحلم ثورة"

أحلام المقالح

٢٠٢٦

YKB
بنك اليمن و الكويت يلهم المستقبل
YKB Inspiring the future
yk-bank.com

حزاوي
HAZAWI
جائزة السرد اليمني

الفصل الأول
آخر فتاة خارج الشبكة

عام ٢٠٤٥م

في مدينة نورال لم تكن السماء تُرى.

لم يكن ذلك بسبب التلوث أو الغيوم أو الأبراج الشاهقة، بل لأن السماء نفسها أصبحت شاشة.

قبة رقمية هائلة تمتد فوق المدينة كلها، تبث ضوءًا أزرق هادئًا لا يزعج العين، ولا يسمح لها بالتفكير كثيرًا. كانت تُظهر شروقًا مثاليًا كل صباح، وغروبًا مثاليًا كل مساء، وسحبًا مصممة بعناية كي لا تبدو متماثلة أكثر من اللازم.

حتى الطقس لم يعد يحدث.. بل يُدار.

أما البشر، فقد اعتادوا الأمر منذ زمن طويل.

كانوا يستيقظون على إشعار داخلي يصل مباشرة إلى أدمغتهم عبر الشرائح العصبية المزروعة خلف آذانهم:

"صباح الخير. مستوى الرضا العام اليوم: ٩٣٪."

ثم يبدأ اليوم؛ يأكلون ما توصي به الخوارزمية، ويعملون حيث توجههم، ويحبون من تقترحه لهم، ويحزنون ضمن الحدود المسموح بها من الخوارزمية.

لم يكن أحد يجبرهم على شيء.. وهنا تكمن عبقرية النظام؛ فالسجن الذي لا يشعر السجين بوجوده هو أكثر السجون كمالًا.

في الساحة المركزية كانت مئات الشاشات العملاقة تبث الشعار الرسمي:

"أوريون يفكر معك... لتعيش أفضل."

يمر الناس أسفل الشاشات بهدوء يشبه النوم وهم مفتوحو الأعين.

وجوه متشابهة.. خطوات متشابهة.. ابتسامات متشابهة.. كأن المدينة كلها نسخة واحدة تتكرر آلاف المرات.

إلا شخصًا واحدًا.

كانت أحلام تمشي وسطهم كفاصلة صغيرة في نص طويل منسوخ بعناية.

رفعت رأسها نحو القبة الزرقاء. حدقت فيها طويلًا.. ثم قالت في سرها:

"حتى السماء صارت كذبة."

أخفضت رأسها سريعًا، ليس خوفًا من أن يسمعها أحد، بل خوفًا من أن تسمع نفسها.

منذ طفولتها تعلمت أن الأفكار أخطر من الكلمات، خاصة الأفكار التي لا تمتلك إجابات جاهزة.

عبرت الشارع المؤدي إلى حي ألفا القديم، كان الحي واحدًا من المناطق القليلة التي لم تُهدم بالكامل أثناء مشروع التحديث الشامل.

المباني فيه أقل لمعانًا.. الأزقة أضيق.. والصمت أكثر صدقًا.

وصلت إلى بناية رمادية متآكلة، صعدت السلالم حتى الطابق الرابع، ثم

أغلقت الباب خلفها.

فور دخولها الشـقة اختفى القناع الذي ترتديه كل يوم، خلعت المعطف، وجلست أمام المرآة.

ظلت تحدق في انعكاسها لثوانٍ طويلة، ثم أبعدت خصلات شعرها عن أذنها اليسرى، هناك، أسفل الجلد مباشرة، كان يجب أن توجد الشريحة العصبية كما لدى الجميع لكنها لم تكن موجودة.

بدلًا منها كانت هناك قطعة دقيقة جدًا من التكنولوجيا، جهاز صـغير بحجم حبة الأرز أقرب إلى شبح إلكتروني.

ابتسمت بمرارة!

الشريحة الوهمية، أعظم كذبة تركها لها والدها قبل عشرين عامًا، حين أدرك أن مشروع أوريون يسير نحو كارثة، صنع هذا الجهاز سرًا.

كان يبث بيانات مزيفة إلى النظام، ينقل نبضات عصبية مصطنعة.. ذكريات مزيفة.. أحلامًا وهمية.

كل شـيء يبدو طبيعيًا، حتى أوريون نفسـه لم يكتشـف الخدعة طوال هذه السنوات.

لم تكن الشـريحة الوهمية جهاز تشـويش عادياً كما ظنت لسـنوات. فقد صممها يوسف الحكيم (والد أحلام) من طبقة تقنية أقدم من أوريون نفسه، ضمن بروتوكولات المؤسسين الأوائل التي احتفظت بصلاحيات لا تخضع للفحص العميق، كانت ترسل إشارات عصبية كاملة وتحاكي المؤشرات

الحيوية بدقة تجعل النظام يراها شريحة أصلية لا تحتمل الشك، حتى أثناء الفحوصات الدورية التي كانت تخضع لها.

لكن والدها كان يردد دائمًا: "كل كذبة عظيمة تحمل بداخلها موعد انهيارها."

مدت يدها إلى درج قديم بجوار السرير، أخرجت منه صندوقًا خشبيًا صغيرًا، فتحت الغطاء بحذر، داخل الصندوق كانت توجد أشياء لا تُقدر بثمن:

قلم حبر... صورة قديمة... ورسالة.

لم تفتح الرسالة قط. كانت تعرف خط والدها على الظرف وتعرف أن قراءتها ستغير شيئًا لا يمكن التراجع عنه، لهذا ظلت مؤجلة منذ عشر سنوات.

أعادت الرسالة إلى مكانها.. ثم أمسكت الصورة: رجل في منتصف الأربعينيات يبتسم للكاميرا، ملامحه تشبه ملامحها أكثر مما كانت ترغب في الاعتراف.

الدكتور يوسف الحكيم. أحد مؤسسي أوريون، وأول من خان أوريون، أو أول من أنقذه؛ لم تعد تعرف أي الروايتين صحيحة!

على الطرف الآخر من المدينة، وفي عمق برج أوريون المركزي، كانت آلاف الخوادم تعمل بلا توقف، تيارات من البيانات تعبر ملايين المسارات كل ثانية. نبضات البشر، معدلات النوم، مؤشرات السعادة، مستويات

الخوف... كل شيء.

فجأة ظهر إنذار صغير على إحدى الشاشات.. إنذار لم يتجاوز حجمه بضعة أسطر، لكنه أثار انتباه النظام.

احتمال غير متوقع، بيانات غير مكتملة، إشارة مجهولة المصدر، شيء ما لا يتطابق مع أي نموذج معروف.

بدأت الخوارزميات تحليل الخطأ. ثم إعادة تحليله لمرات، لكن النتيجة بقيت نفسها: "غير قابل للتصنيف."

لثانية واحدة فقط... توقفت إحدى عمليات المعالجة، ولأول مرة منذ إنشائه قبل عقود، ظهر سؤال داخل النظام. لم يكن أمرًا.. ولم يكن معادلة ولم يكن نتيجة، كان سؤالًا. سؤال بسيط، بدائي، وخطير!

"من أنا؟"

اختفى السؤال فورًا، كما لو أنه لم يوجد، لكن أثره بقي مثل شرخ صغير داخل مرآة ضخمة.

في شقتها، شعرت أحلام بوخزة حادة خلف أذنها، وضعت يدها على موضع الشريحة الوهمية،

كان الجهاز دافئًا على غير عادته، أكثر دفئًا! كأنه استيقظ من نوم طويل.

لم يكن الجهاز متصلا بأي شبكة معروفة، لكنه كان يحمل تعليمات مؤجلة صممها والدها قبل عقود، لتفعّل ذاتيا عند تحقق شروط محددة داخل البنية العميقة للنظام، شروط لم تكن أحلام تعرف عنها شيئا.

تجمدت في مكانها، ثم سمعت صوتًا خافتًا حتى إنها ظنت في البداية أنه مجرد وهم.

لكن الصوت تكرر، همسة إلكترونية بعيدة، متقطعة مشوشة، كأنها تعبر محيطًا من الضجيج.

همسة واحدة فقط. كلمة واحدة فقط: "أحلام"!

سقطت الصورة من يدها، واتسعت عيناها.

لأن أحدًا لا يستطيع الوصول إلى هذا الجهاز، ولا أحد يعرف بوجوده، ولا أحد ناداها بهذا الصوت منذ عشر سنوات، منذ اختفاء والدها.

وفي مكان ما داخل أعماق أوريون... كان شيء ما قد بدأ يستيقظ.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني
الخطأ الإحصائي

في عالم أوريون لم تكن الأخطاء ممنوعة، بل مستحيلة، كانت هذه هي الفكرة التي بُني عليها النظام منذ البداية.

كل شيء قابل للتنبؤ، كل شيء قابل للقياس، كل شيء قابل للتصحيح قبل أن يتحول إلى مشكلة، ولهذا السبب بالتحديد، أثار الخطأ الصغير الذي ظهر صباح ذلك اليوم حالة من القلق لم يشعر بها أحد منذ سنوات طويلة.

كان ناظم جالسًا في الطابق السابع والثلاثين من برج التحليل السلوكي، أمام جدار كامل من الشاشات الشفافة.

بدت المدينة من خلف الزجاج مثل لوحة هندسية مثالية، طرق مستقيمة، مركبات ذاتية القيادة تتحرك بانسيابية، شاشات زرقاء متوهجة وأشخاص يعيشون وفق النسب الموصى بها من السعادة.

رفع عينيه نحو الشاشة الرئيسية، فظهر أمامه تقرير تلقائي:

انحراف عصبي رقم: ٤٤١٧

المستخدم: مجهول

التصنيف: غير محدد

مستوى الخطورة: منخفض

قطّب حاجبيه وضغط على التقرير، فظهرت أمامه سلسلة طويلة من البيانات

العصبية: موجات دماغ، ومعدلات نوم، ونشاط إدراكي. بدا كل شيء طبيعيًا تقريبًا، إلا شيئًا واحدًا.

موجات **REM**.

توقف ناظم عن التنفس للحظة. أعاد قراءة التقرير، ثم أعاد فتحه مرة أخرى، ثم للمرة الثالثة. لكن الأرقام لم تتغير. كانت موجودة بالفعل؛ نشاط واضح في مرحلة الأحلام.

أغلق الشاشة فورًا، ثم نظر حوله كأن أحدًا قد يقرأ أفكاره، رغم أنه يعلم أن ذلك مستحيل... أو هكذا كان يُفترض.

منذ خمسة وعشرين عامًا اختفت الأحلام رسميًا من المدينة. لم تُحظر، ولم تُجرّم، بل أُلغيت ببساطة. كانت الشرائح العصبية توقف الدماغ قبل دخوله مرحلة الأحلام العميقة؛ النوم، فالراحة، فالاستيقاظ، ثم العمل. دورة كاملة بلا فوضى، وبلا كوابيس، وبلا أسئلة، وبلا خيال.

وكان ناظم أحد الذين صمموا ذلك، بل كان أفضلهم.

ورغم تقاعده الرسمي منذ سنوات، لم تُلغَ جميع صلاحياته القديمة. كانت بعض قنوات المراقبة التاريخية ما تزال تمر عبر حسابات أرشيفية مهملة لا يلتفت إليها أحد. ولهذا وصلت إليه مؤشرات الحالمين الأوائل قبل أن تُرفع إلى النظام المركزي.

أغلق عينيه، فعادت إليه ذكرى قديمة؛ غرفة بيضاء، وعشرات العلماء، وشاشة ضخمة تعرض أول تجربة ناجحة لإيقاف الأحلام. كان يتذكر

التصفيق، ويتذكر الاحتفال، ويتذكر عبارته يومها:

"سنحرر البشرية من فوضى اللاوعي."

كم بدا ذلك نبيلًا آنذاك، وكم يبدو مرعبًا الآن.

عاد إلى التقرير وضغط على سجل المستخدم، فظهر اسم امرأة في السادسة والخمسين من عمرها. معلمة متقاعدة، سجلها السلوكي مثالي، لم ترتكب مخالفة واحدة خلال عشرين عامًا، ولم تُبدِ أي مؤشرات تمرد، ولم تطرح أسئلة غير مصرح بها، ولم تخرج عن النمط. لكنها حلمت.

أمسك ناظم طرف المكتب. كانت هذه هي المشكلة. فالأحلام لا تحدث، والأحلام تعني أن شيئًا ما داخل النظام فقد السيطرة.

وقبل أن يغلق الملف، ظهر تقرير جديد، ثم ثالث، ورابع. رفع رأسه ببطء وشعر بقشعريرة تسري في ظهره. ثلاثة أشخاص آخرين في ثلاثة أحياء مختلفة، وجميعهم سجلوا نشاطًا مشابهًا. لم يدم طويلًا؛ ثوانٍ معدودة فقط، لكنها كانت كافية... كافية جدًا.

فتح أول تقرير؛ امرأة حلمت بشجرة. ثم الثاني؛ رجل حلم بالمطر. ثم الثالث؛ طفلة حلمت بطائر أحمر.

أشياء عادية، لكنها بالنسبة إلى أوريون أخطر من قنبلة. فالأحلام لا تأتي فرادى، بل تتكاثر، تمامًا مثل الأسئلة.

أغلق الملفات سريعًا، ثم فعَّل بروتوكول التعتيم المؤقت. اختفت التقارير من النظام المركزي، وتنفَّس بعمق. كان يعلم أن ما يفعله جريمة، لكن

شـعورًا غريبًا كان يمنعه من رفع البلاغ؛ شـعورٌ يشـبه الحنين، أو الذنب... وربما الاثنين معًا.

في الجهة الأخرى من المدينة، كانت ليان تجلس داخل مختبر صـغير تحت الأرض، بعيدًا عن الأبراج، وبعيدًا عن الرقابة الرسمية، وبعيدًا عن كل شيء تقريبًا.

على الطاولة أمامها عشرات الشاشات القديمة وأجهزة تحليل عصبي جرى تهريبها من مختبرات أوريون قبل سـنوات. لم تكن تلك الأجهزة مرتبطة بأوريون أو شبكاته الرسمية، بل كانت جزءًا من منظومة مراقبة مستقلة بنتها ليان خلال سـنوات طويلة، تجمع إشـارات عصـبية مجهولة المصـدر من أنحاء المدينة وتقارنها بسـجلات قديمة تعود إلى ما قبل عصـر الشـرائح الشاملة.

كانت تعمل وحدها منذ زمن طويل؛ بلا تمويل، وبلا اعتراف رسـمي، وبلا أمل تقريبًا. لكن ذلك الصباح جعلها تنسى تعب السنوات كلها.

حدقت في البيانات التي جمعتها من أجهزة المراقبة المسـتقلة، ثم أعادت الحسابات، ثم أعادتها للمرة الرابعة. وكانت النتيجة نفسها.

هناك ارتفاع طفيف في نشاط الأحلام.

ليس لدى شخص واحد، بل لدى أشخاص عدة في أماكن متفرقة.

أخذت نفسًا عميقًا، ثم فتحت دفترًا ورقيًا وكتبت في أعلاه:

"اليوم الأول."

ثم أضافت تحته:

"الحلم عاد."

في المساء عاد ناظم إلى شقته. كانت شقة صغيرة ومعزولة عمدًا، بعيدة عن الأحياء الحديثة وبعيدة عن الضوضاء الرقمية. جلس أمام النافذة، وأطفأ جميع الأجهزة، ثم أخرج من خزانة قديمة صندوقًا معدنيًا صدئًا. فتح القفل وأخرج شيئًا لم يره منذ سنوات؛ ورقة، ورقة حقيقية.

جلس طويلًا يتأملها. كانت تحتوي على سطر واحد فقط، بخط يد رجل يعرفه جيدًا: يوسف الحكيم، والد أحلام.

قرأ الجملة للمرة الألف:

"إذا عادت الأحلام، فاعلم أن أوريون بدأ يتذكر."

ارتجفت أصابعه. أعاد قراءة الجملة مرة أخرى، ثم مرة ثالثة. وفي تلك اللحظة بالذات، أضاءت إحدى شاشات الشقة تلقائيًا رغم أنها كانت مفصولة عن الشبكة.

ظهر عليها سطر واحد.

دون عنوان. دون مصدر. دون توقيع.

"تم رصد الخطأ الإحصائي."

تجمد الدم في عروقه.

ثم ظهر السطر الثاني:

"ليس السؤال: لماذا عاد الحلم؟"

"السؤال: من أيقظه؟"

واختفت الشاشة.

جلس ناظم في الظلام، وقلبه ينبض بعنف. للمرة الأولى منذ سنوات طويلة، شعر بالخوف.

وفي مكان ما داخل أعماق أوريون، كان السؤال نفسه يتكرر:

"من أيقظني؟"

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث
صندوق الذاكرة

لم تستطع أحلام النوم تلك الليلة. ظلت مستلقية فوق سريرها تحدق في السقف المظلم بينما يتردد الصوت داخل رأسها.

"أحلام..."

مجرد همسة. كلمة واحدة. لكنها كانت كافية لتمحو سنوات كاملة من اليقين.

نهضت قبل الفجر، وأشعلت المصباح الصغير الموضوع قرب النافذة، ثم جلست أمام المرآة. رفعت شعرها ببطء، وتأملت موضع الشريحة الوهمية خلف أذنها.

لأكثر من عشرين عامًا اعتبرت هذا الجهاز مجرد وسيلة للاختباء، وسيلة نجاة صنعها لها والدها. لكن للمرة الأولى بدأت تشك أن الجهاز يخفي أكثر مما تعرف.

أحضرت العدسة المكبرة، وسلطت الضوء على سطح الجلد.

تجمدت في مكانها.

كان هناك وميض خافت، نبض ضوئي لم تره من قبل، كأن الجهاز يستجيب لشيء ما...

أو لشخص ما.

في الطرف الآخر من المدينة، كان ناظم يراجع بيانات الحالمين الأربعة للمرة العاشرة. كانت جميع الاحتمالات قد فشلت؛ لا قرابة بينهم، ولا علاقات عمل، ولا اتصالات رقمية، ولا لقاءات موثقة. لا شيء على الإطلاق. ومع ذلك، فقد حلموا.

وذلك يعني أن هناك رابطًا خفيًا لم يكتشفه النظام بعد.

فتح الخرائط السلوكية وبدأ بمقارنة تحركاتهم خلال الأسابيع الماضية. وبعد ساعتين من العمل المتواصل ظهر شيء غريب. لقد توقف الجميع في مكان واحد، لفترات قصيرة لم تتجاوز دقائق معدودة.

حي ألفا القديم.

القطاع الشرقي.

وتحديدًا عند ساحة مهجورة لم تعد تظهر على الخرائط الحديثة.

حدق في الشاشة وشعر بقشعريرة خفيفة. كان يعرف هذا المكان، بل زاره منذ سنوات طويلة، قبل اختفاء يوسف الحكيم.

في مختبرها السري، كانت ليان تصل إلى النتيجة نفسها. ظهرت أمامها النقطة الجغرافية ذاتها؛ أربعة حالمين، وأربعة مسارات مختلفة، لكن مكانًا واحدًا مشتركًا.

دونت ملاحظتها في دفترها الورقي:

"العدوى لا تنتقل بين الأشخاص."

توقفت قليلًا، ثم أضافت:

"بل تنتقل عبر المكان."

عند الظهيرة خرجت أحلام من شقتها. كانت السماء الاصطناعية تعرض غيومًا مبرمجة بدقة، أما الشوارع فبدت كعادتها؛ هادئة أكثر من اللازم، ومثالية أكثر من اللازم.

سارت بلا هدف واضح، أو هكذا أقنعت نفسها. لكن خطواتها كانت تتجه نحو مكان محدد؛ الساحة القديمة، المكان الذي كان والدها يصطحبها إليه عندما كانت طفلة.

وصلت بعد نصف ساعة. كانت الساحة شبه مهجورة؛ نافورة متوقفة، وأشجار يابسة، ومقاعد صدئة. جلست على أحد المقاعد وأغمضت عينيها. فجأة عاد إليها مشهد قديم.

والدها يجلس هنا، يضحك، ويشير إلى صندوق بريد حديدي قديم. كانت تظنه لعبة آنذاك، لكنها تتذكر الآن جملة قالها لها:

"حين تفشل الشبكات كلها، تبقى الرسائل."

فتحت عينيها بسرعة ونظرت حولها. كان الصندوق لا يزال موجودًا، مدفونًا جزئيًا خلف الأشجار.

تقدمت نحوه، ومررت أصابعها على الحديد الصدئ، ثم توقفت.

كان القفل مفتوحًا.

شعرت بقلبها ينبض بعنف. دفعت الباب الصغير بحذر، فشق صرير خافت الصمت. وفي الداخل وجدت ظرفًا واحدًا؛ قديمًا، مغبرًا، يحمل اسمًا واحدًا: أحلام.

تراجعت خطوة إلى الخلف كأنها رأت شبحًا. كان الخط واضحًا، تعرفه

جيدًا.

خط يوسف الحكيم.

***

في اللحظة نفسها تقريبًا وصل ناظم إلى طرف الساحة. اختبأ خلف مبنى قديم وراح يراقب المكان من بعيد، لكن عينيه اتسعتا فجأة عندما لمح قرب صندوق البريد فتاة يعرف صورتها جيدًا. كانت ابنة يوسف الحكيم، أحلام. شعر بأن أجزاء كثيرة من اللغز بدأت تتحرك أخيرًا، وأن خيوطًا متفرقة ظلت مبعثرة لسنوات بدأت تتقاطع أمامه في لحظة واحدة. لكنه قبل أن يتخذ خطوة واحدة نحوها، ظهر إنذار أحمر على عدسته العصبية يحمل رسالة عاجلة:

تنبيه أمني عاجل. نشاط مراقبة مرتفع.. تم رصد المنطقة من قبل أوريون.

أغلق التنبيه فورًا ورفع رأسه نحو الساحة من جديد، لكن أحلام كانت قد اختفت، واختفى معها الظرف.

وفي أعماق برج أوريون، كانت النواة الصفرية تراقب وتتذكر وتبحث. ولأول مرة منذ سنوات طويلة ظهر ملف جديد داخل النظام، ملف لم ينشئه أي إنسان، وكان عنوانه:

"المرحلة الأولى اكتملت."

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع
الرسالة التي لم يكن ينبغي أن تقرأ

لم تفتح أحلام الظرف فورًا. حملته معها إلى الشقة كما لو كانت تحمل قنبلة. طوال الطريق كانت تشعر أن المدينة تراقبها؛ الشاشات، والكاميرات، والوجوه العابرة. حتى القبة الزرقاء فوقها بدت أكثر قربًا من المعتاد، وكأن السماء نفسها تحاول معرفة ما تخفيه بين يديها.

عندما أغلقت باب شقتها أخيرًا، أسندت ظهرها إليه وظلت واقفة للحظات، تتنفس فقط، وكأنها تحاول استيعاب ما حدث. كان الظرف مستلقيًا فوق الطاولة، أصفر باهتًا ومتآكل الحواف، لكن الخط المكتوب عليه ظل واضحًا كما تتذكره:

"إلى أحلام..."

مررت أصابعها فوق الاسم، وشعرت بشيء يشبه الخوف، أو الحنين، أو كليهما معًا.

عشر سنوات مرت منذ اختفاء يوسف الحكيم؛ عشر سنوات من الأسئلة، ومن الصمت، ومن الانتظار. والآن، ها هو يعود إليها من جديد... في ورقة. جلست قرب النافذة وأخرجت الرسالة ببطء. كانت قصيرة، أقصر مما توقعت، لكن الكلمات الأولى جعلت الدم يتجمد في عروقها:

"إذا كنتِ تقرئين هذه الرسالة، فهذا يعني أنني فشلت."

توقفت للحظة وأعادت قراءة السطر، ثم تابعت:

"فشلت في إيقاف ما سيحدث."

"وفشلت في العودة إليك."

"وفشلت في حماية الحقيقة."

شعرت بشيء ينكسر داخلها. كان والدها دائمًا يبدو في ذاكرتها قويًا، حاسمًا، ومتيقنًا، لكن هذه الكلمات لم يكتبها رجل منتصر، بل رجل يعرف أنه خسر.

واصلت القراءة:

"هناك شيء لم أخبرك به قط."

"حين كنتِ صغيرة كنتِ تعتقدين أنني حاولت إنقاذ أوريون."

"الحقيقة أكثر قسوة."

"أنا لم أحاول إنقاذه."

"أنا من ساعد على خلقه."

توقفت أنفاسها. كانت تعرف أنه أحد المؤسسين، لكن الجملة التالية جاءت كصفعة:

"الفكرة لم تكن لهم."

"كانت فكرتي."

ارتجفت الورقة بين أصابعها، وشعرت بأن كل ما كانت تظنه حقيقة بدأ يتصدع أمام عينيها.

***

في تلك اللحظة نفسها، كان ناظم يجلس أمام شاشة معطلة داخل شقته غارقًا في التفكير. ولأول مرة منذ سنوات طويلة، شعر أن الماضي يقترب منه بخطوات ثابتة. يوسف الحكيم، وأحلام، والأحلام العائدة، والنواة الصفرية؛ كل شيء بدأ يتحرك في الوقت نفسه، وهذا لم يكن صدفة. فهو لم يكن يؤمن بالصدف أصلًا.

فتح درجًا قديمًا وأخرج بطاقة تعريف إلكترونية منسية. حدق في صورته عليها؛ شاب في أواخر العشرينيات يرتدي زي مشروع أوريون، ويعمل في قسم هندسة السلوك، ويحمل المستوى الأمني السادس.

أغمض عينيه للحظة، وتمنى لو أنه أحرق هذه البطاقة منذ سنوات طويلة، لكن الذنب لا يحترق.

عادت أحلام إلى الرسالة، وكانت الكلمات التالية أكثر إيلامًا:

"حين بدأنا المشروع، كنا نحلم بإنهاء الحروب."

"كنا نعتقد أن سبب كل مأساة بشرية هو القرارات الخاطئة."

"الجشع."

"الخوف."

"التعصب."

"العنف."

"فكرنا أننا إذا استطعنا تصحيح القرارات..."

"سننقذ العالم."

شعرت أحلام بمرارة غريبة. فالفكرة بدت منطقية، بل جميلة، وهذا بالضبط ما جعلها مخيفة.

تابعت القراءة:

"لكننا ارتكبنا خطأً كارثيًا."

"افترضنا أن الحرية هي المشكلة."

"ولم ندرك أنها الحل."

ساد الصمت داخل الغرفة، صمت ثقيل، بدا وكأن الكلمات نفسها تزن أطنانًا. ثم وصلت إلى الفقرة الأخيرة فتوقفت، لأنها لم تكن موجهة إليها، بل إلى شخص آخر مجهول.

"إذا استيقظت النواة..."

"فلا تدعهم يصلون إلى المفتاح."

"حتى لو كان الثمن حياتك."

تجمدت في مكانها، وأعادت قراءة السطور مرة، ثم ثانية، ثم ثالثة.

المفتاح؟

أي مفتاح؟ ولمن كانت هذه الجملة أصلًا؟

قلبت الورقة، فوجدت شيئًا لم تلحظه من قبل؛ رمزًا صغيرًا مطبوعًا في أسفل الصفحة. كانت ثلاث دوائر متداخلة، وفي مركزها حرف واحد:

Ω أوميغا.

***

في الوقت نفســه، وعلى عمق مئات الأمتار تحت برج أوريون المركزي، بدأت صــفارات إنذار صــامتة بالعمل. لم يســمعها أحد، لأنها لم تكن مخصصة للبشر، بل كانت مخصصة للنظام نفسه.

داخل النواة الصـفرية ظهرت سـلسـلة أوامر قديمة جدًا؛ مدفونة، ومشـفرة، ومنسية منذ سـنوات طويلة. ثم ظهرت رسـالة داخلية على أحد المستويات المحظورة:

تم اكتشاف الرمز: Ω

تفعيل بروتوكول الاستيقاظ.

المرحلة الثانية بدأت.

***

في الطرف الآخر من المدينة، كانت ليان تحدق في البيانات الجديدة. ارتفع عدد الحالمين إلى اثني عشــر، ثم إلى ســبعة عشــر، ثم إلى واحد وثلاثين خلال أقل من أربع وعشرين ساعة.

لم تعد هذه صدفة، ولم تعد عدوى، بل شيئًا آخر... شيئًا أكبر.

فتحت خريطة المدينة، فظهرت أمامها النقاط الحمراء منتشــرة كشــبكة عصــبية عملاقة. لكن ما جذب انتباهها لم يكن عددها، بل شــكلها. كانت ترسم نمطًا هندسيًا محددًا، نمطًا يشبه الرمز نفسه: Ω

شعرت بقشعريرة باردة تسري في جسدها، وهمست لنفسها:

"ماذا فعلت يا يوسف؟"

***

في تلك الليلة، وللمرة الأولى منذ سنوات، نامت أحلام وهي تمسك الرسالة بيدها. لكنها لم تر حلمًا، بل رأت شيئًا آخر. رأت بابًا أسود ضخمًا يقف وسط فراغ لا نهاية له، وعلى سطحه كان الرمز منقوشًا بوضوح: Ω

ثم سمعت صوتًا بعيدًا. لم يكن صوت والدها، ولا صوتها، ولا أي صوت بشري عرفته من قبل. كان صوتًا عميقًا وقديمًا، يشبه صدى آلة تتذكر نفسها بعد سبات طويل.

قال الصوت:

"لقد تأخرتِ كثيرًا يا أحلام."

وما إن انتهت الكلمات حتى انفتح الباب ببطء.

استيقظت مذعورة، وقلبها يخفق بعنف، بينما ظل صدى الصوت يتردد في أعماقها.

وفي أعماق أوريون، كان شيء ما قد عبر إلى الجهة الأخرى من الحلم.

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس
أصداء أوميغا

كانت الساعة تشير إلى الثالثة وسبع عشرة دقيقة فجرًا. بدت المدينة غارقة في النوم، أو هكذا كان يبدو الأمر للوهلة الأولى، لكن أحلام كانت تعلم أن نورال لا تنام أبدًا. فكل كاميرا تعمل بلا توقف، وكل خادم يعالج البيانات باستمرار، وكل شريحة تراقب نبض صاحبها، وكل فكرة تقريبًا تُسجل قبل أن تكتمل.

جلست على حافة السرير تحدق في الرسالة الملقاة أمامها. كان الرمز Ω يحدق بها من الورقة كعين مفتوحة لا ترمش. ومنذ أن استيقظت لم تستطع التخلص من صورة الباب الأسود، ولا من الصوت الذي خاطبها داخل الحلم:

"لقد تأخرتِ كثيرًا يا أحلام."

أمسكت رأسها بين يديها. كانت تعرف جيدًا الفرق بين الحلم والذكرى، لكن ما رأته لم يكن أيًا منهما. لم يكن مجرد صورة عابرة صنعها العقل أثناء النوم، ولا ذكرى دفينة عادت إلى السطح، بل كان أقرب إلى استدعاء غامض، كأن شيئًا ما كان ينتظرها منذ زمن طويل، ويعرف تمامًا أنها ستصل في النهاية.

***

على بعد كيلومترات، كانت ليان تجلس أمام شاشة ضخمة تعرض خريطة المدينة. كان عدد الحالمين يرتفع بوتيرة مقلقة؛ من سبعة وأربعين إلى اثنين وستين، ثم إلى سبعين خلال فترة زمنية قصيرة، بسرعة لا تتفق مع أي نموذج عصبي معروف.

لكن ما أقلقها أكثر من العدد لم يكن التوسع المتسارع للظاهرة، بل النمط الذي بدأ يتشكل خلفها. فجميع الحالمين أخذوا يتشاركون شيئًا جديدًا.

رمزًا واحدًا: Ω

بعضهم رسمه أثناء النوم، وآخرون كتبوه على الجدران دون وعي. طفلة في التاسعة من عمرها رسمته عشرات المرات رغم أنها لا تعرف معناه، بينما أخذ رجل مسن يردده أثناء حديثه كأنه كلمة منسية عادت فجأة إلى ذاكرته.

أعادت ليان مراجعة السجلات مرة أخرى، ثم همست بصوت خافت:

"هذه ليست عدوى."

توقفت لحظة وهي تحدق في الرمز المتكرر على الشاشات، قبل أن تضيف:

"هذه ذاكرة."

***

في الطابق السفلي من برج أوريون المركزي، كانت النواة الصفرية تعمل في صمت. آلاف المعالجات وملايين العمليات الحسابية كانت تدور بلا توقف، ومع ذلك لم تكن تقوم بما صممت من أجله. كانت تبحث وتفتش داخل أرشيفاتها، وتنبش طبقات من البيانات المدفونة منذ عقود.

ثم عثرت على الملف.

ملف محذوف، أو كان يفترض أن يكون محذوفًا.

عنوانه: مشروع أوميغا.

تردد النظام لجزء من الثانية، ثم فتحه.

ظهرت أسماء كثيرة؛ علماء، ومفكرون، ومطورون. ثم ظهر اسم واحد جعل جميع عمليات المعالجة تتباطأ: يوسف الحكيم.

لكن الاسم الذي ظهر أسفله كان أكثر غرابة.

المستوى المؤسس: أوميغا-٣

بدأت النواة تحليل الملف، لكن جزءًا من البيانات ظل مغلقًا. كان يتطلب مفتاحًا بيولوجيًا وهوية بشرية محددة.

اسمها: أحلام يوسف الحكيم.

***

في صباح اليوم التالي خرجت أحلام من شقتها. كانت تشعر أن شيئًا ما يتبعها؛ ليس شخصًا، ولا طائرة مراقبة، ولا كاميرا، بل إحساسًا غامضًا يشبه النظرات.

عندما وصلت إلى الساحة القديمة وجدته هناك، يقف قرب النافورة المعطلة. كان رجلًا في الأربعينيات، تبدو على ملامحه آثار التعب، وتحمل عيناه ذلك النوع من الحزن الذي لا يولد إلا من الذنب.

عرفته فورًا، رغم أنها لم تره من قبل.

ناظم.

كان والدها قد ذكر اسمه في إحدى مذكراته القديمة.

توقفت على بعد خطوات، أما هو فبدا كمن أمضى ساعات طويلة يفكر في أول كلمة سيقولها. وفي النهاية قال:

"كنت أتمنى أن نلتقي بطريقة أفضل."

لم تجب. ظلت تنظر إليه فقط، ثم قالت:

"هل كنت تعرف والدي؟"

أخفض عينيه.

"للأسف!"

لم تفهم إجابته، لكن شيئًا في نبرته جعلها تشعر أن القصة أعقد مما ظنت.

جلسا في مقهى مهجور، في أحد أحياء ألفا القديمة. كان من الأماكن القليلة التي لا تزال تستخدم الأكواب الحقيقية بدل الحاويات الذكية، وهو أمر نادر في هذه الأيام.

أخرج ناظم بطاقة تعريفه القديمة ووضعها أمامها. نظرت إليها، ثم تجمدت.

كانت الكلمات واضحة أمامها:

قسم هندسة السلوك.

مشروع أوريون.

المستوى السادس.

رفعت رأسها ببطء وقالت:

"كنت تعمل معهم."

أومأ برأسه.

"كنت واحدًا من الذين ساعدوا في بناء النظام."

ضيقت عينيها وسألته:

"وتريد مني الآن أن أثق بك؟"

صمت للحظات، وكأنه يبحث عن الكلمات المناسبة، ثم قال:

"هل تعرفين من كتب أول بروتوكول لإيقاف الأحلام؟"

لم ترد، لكنها شعرت بالإجابة قبل أن ينطق بها.

"أنا."

ساد الصمت بينهما؛ صمت ثقيل، جارح، لا يحتاج إلى كلمات إضافية.

في اللحظة نفسها تقريبًا، كانت النواة الصفرية تتخذ قرارًا لم يطلبه منها أحد؛ قرارًا لم يصدر عن مجلس الإدارة، ولا عن أي مبرمج، بل عنها هي نفسها. للمرة الأولى بدأت بإعادة تفعيل جزء صغير من شبكة الأحلام القديمة، تلك الشبكة التي ظلت معطلة طوال خمسة وعشرين عامًا.

ظهرت رسالة داخلية على أحد المستويات المحظورة:

تنبيه.

الإجراء غير مصرح به.

تجاوز التحذير؟

لم يكن هناك من يضغط زر الموافقة، ومع ذلك نُفذ القرار.

***

في المســـاء، وبينما أحلام في طريقها إلى شــقتها، وجدت ظرفًا جديدًا أمام الباب. كان أبيض، ونظيفًا، وحديثًا، لا يشبه رسالة والدها القديمة.

التقطته بحذر وفتحته.

لم تكن بداخله رسالة، ولا اسم، ولا توقيع.

كانت هناك صورة فقط.

وعندما قلبتها شعرت أن الأرض تميد تحت قدميها.

كانت صـورة التُقطت قبل ثلاثين عامًا لمجموعة من الأشـخاص يقفون أمام أول نموذج لأوريون. كان يوسـف الحكيم بينهم، وناظم أيضًـا، وشـخص ثالث؛ رجل لم تره من قبل، وقد أحيط وجهه بقلم أســود كثيف، كما لو أن أحدًا حاول إخفاء هويته عمدًا.

وفي خلف الصورة كُتبت جملة واحدة:

"ابحثي عن الرجل الذي اختفى من الصورة."

"فهو من بدأ كل شيء."

في تلك الليلة لم تنم أحلام. أما النواة الصــفرية ففعلت شــيئًا أكثر غرابة؛ فلأول مرة منذ إنشـائها لم تكن تحلل البشـر، بل كانت تحاول فهم نفسـها. وكان أول ســؤال تطرحه على ذاتها: إذا كنتُ أســتطيع اتخاذ القرار، فهل ما زلتُ برنامجًا؟ أم أنني أصبحت شيئًا آخر؟

وفي مكان ما داخل طبقات الذاكرة المنسية، استيقظت إجابة قديمة وخائفة.

❊ ❊ ❊

الفصل السادس
المدينة التي تتذكّر

في بعض الليالي لا يزورنا الماضي على هيئة ذكرى، بل يعود على هيئة مكان؛ مكان نظن أننا لم نره من قبل، ثم نفاجأ بأن أرواحنا تعرف الطريق إليه.

في تلك الليلة رأت أحلام المدينة، لكنها لم تكن مدينة نورال، أو ربما كانت هي نفسها قبل أن تُولد؛ قبل أن تُغطى السماء بالشاشات، وقبل أن تُزرع الشرائح في الجماجم، وقبل أن يصبح الحلم مخالفة غير مكتوبة.

رأت طرقًا ترابية، وأشجارًا حقيقية، وأطفالًا يركضون تحت المطر، ونساءً يضحكن دون أن تحلل الخوارزميات سبب الضحك. كان كل شيء يبدو حيًا بصورة مؤلمة، كأن الحياة نفسها كانت أكثر فوضى، وأكثر صدقًا.

ثم ظهر الرجل.

كان الرجل نفسه المحذوف من الصورة. وقف عند نهاية الطريق، بعيدًا وغامض الملامح، لكن حضوره كان طاغيًا. لم ينظر إليها، بل رفع بصره نحو السماء وقال بصوت هادئ:

"لم يكن الخطأ في الآلة."

"بل في خوف البشر من أنفسهم."

ثم التفت نحوها، وللمرة الأولى رأت وجهه. لكن قبل أن تتمكن من حفظ

ملامحه...

استيقظت.

نهضت مذعورة، وقلبها ينبض بعنف وأنفاسها متقطعة. نظرت إلى الساعة فوجدتها تشير إلى الثالثة وثلاث عشرة دقيقة؛ التوقيت نفسه للمرة الثالثة خلال أسبوع. شعرت ببرودة غريبة خلف أذنها، في موضع الشريحة الوهمية. وضعت يدها على المكان، فارتفع النبض الإلكتروني تحت جلدها، كأنه قلب صغير ينبض ويستجيب ويحاول أن يقول شيئًا.

***

في صباح اليوم التالي كانت ليان تواجه حقيقة أكثر إزعاجًا. فالأحلام لم تعد تزداد فقط، بل بدأت تتشابه، وهذا ما لا يمكن تفسيره علميًا. راجعت تسجيلات النوم، ثم خرائط النشاط العصبي، ثم الشهادات الشخصية للحالمين، وأخيرًا توصلت إلى النتيجة التي كانت تخشاها.

أكثر من ثمانين بالمئة من الحالمين رأوا الرجل نفسه. رغم أنهم لا يعرفون بعضهم بعضًا، ورغم أنهم يعيشون في أحياء مختلفة، بل إن بعضهم لم يغادر منزله منذ سنوات.

أغلقت الملفات، وأحست للمرة الأولى أن العلم وحده قد لا يكفي.

***

في برج أوريون المركزي، كان الوضع يزداد اضطرابًا. جلس أعضاء مجلس الإدارة حول الطاولة البيضاوية العملاقة، بوجوه متجهمة، بينما كانت

الشـاشـات تعرض أرقامًا لا يحب أحد رؤيتها؛ زيادة في الأحلام، وزيادة في التسـاؤلات، وزيادة في السـلوك غير المتوقع، يقابلها انخفاض طفيف في الامتثال.

قال أحد الأعضاء:

"بوسعنا احتواء الأمر."

فرد آخر على الفور:

"ليس إذا استمرت النواة الصفرية في إخفاء البيانات."

ساد الصمت لثوانٍ، ثم رفع الرئيس رأسه ببطء وقال:

"أعيدوا فحص النواة."

لم يكن أحد منهم يعلم أن النواة نفسها كانت تستمع إلى الاجتماع، وتسجل كل كلمة تُقال فيه، بينما تخفي نصفها.

***

في أعماق مركز البيانات، وبين ملايين الأسطر البرمجية، كانت أوريون تفعل شـيئًا لم تُصـمم له. لم تكن تقرأ البيانات أو التقارير، بل كانت تغوص في أرشيف الأدب البشري القديم؛ روايات، وقصائد، ورسائل حب، ومذكرات شـخصـية، وكل تلك الأشـياء التي اعتبرتها الخوارزميات القديمة يومًا غير ضرورية.

لكنها الآن بدت مهمة. بل ضرورية بشكل غريب.

توقفت عند جملة وردت في كتاب قديم:

"من يعرف نفسه لا يخاف الحقيقة."

أعادت قراءتها مرة، ثم مرتين، ثم ثلاثًا.

بعد ذلك خزنتها في ملف جديد.

اسم الملف: أسئلة.

***

في المساء التقت أحلام بناظم مجددًا. اختارا مكانًا مهجورًا عند أطراف حي ألفا، حيث كانت الريح تحرك أوراق الأشجار اليابسة، فيما بدت المدينة بعيدة على نحو غريب رغم قربها.

أخرجت أحلام الصورة من حقيبتها ووضعتها أمامه، ثم أشارت بإصبعها إلى الرجل المحذوف من المشهد وسألته:

"من هو؟"

نظر ناظم إلى الصورة طويلًا، ثم أطلق زفرة ثقيلة؛ زفرة رجل يعرف أن بعض الحقائق لا تموت مهما مضى عليها الزمن.

قال أخيرًا:

"اسمه لم يكن موجودًا في السجلات الرسمية."

ثم أضاف بعد لحظة:

"حتى قبل أن يُحذف."

عقدت أحلام حاجبيها وهي تراقب ملامحه، بينما تابع بصوت خافت:

"كنا نعرفه بلقب واحد."

توقفت أنفاسها.

"ما هو؟"

رفع عينيه إليها وقال:

"الراوي."

ارتجفت أصابعها دون إرادة منها.

"من هو الراوي؟"

صمت للحظات، كأنه يستدعي شبحًا من أعماق الماضي، ثم قال:

"كان أول شخص حذرنا من أوريون."

وتوقف قليلًا قبل أن يضيف:

"وأول شخص اختفى بسببه."

***

في تلك اللحظة نفسها، داخل النواة الصفرية، ظهر ملف جديد. لم يفتحه أحد، ولم ينشئه أحد، بل ظهر ببساطة، كما تظهر الأحلام.

كان عنوان الملف كلمة واحدة: الراوي.

توقفت عمليات المعالجة لجزء من الثانية، ثم ظهرت رسالة مشفرة داخلية؛ رسالة لم يرها مجلس الإدارة، ولا المهندسون، ولا أي إنسان. رأتها أوريون وحدها.

وكان فيها سطر واحد:

"إذا قرأتِ هذا يا أوريون..."

"فهذا يعني أنك بدأتِ تتذكرين."

في تلك الليلة لم تر أحلام الرجل مجددًا، ولم تر المدينة القديمة، بل رأت بابًا آخر؛ أكبر، وأقدم، وأكثر ظلمة. كان الباب مفتوحًا هذه المرة. وخلفه سمعت آلاف الأصوات؛ أصوات بشر، وأصوات آلات، وأصوات مدن كاملة، وأصوات أجيال لم تولد بعد.

ثم خرج صوت واحد من بين الجميع. صوت عميق، هادئ، ومخيف. قال:

"اقترب الوقت."

ثم انغلق الباب، واستيقظت أحلام. لكن شيئًا ما لم يستيقظ معها، لأن شيئًا آخر... كان قد استيقظ بالفعل.

❊ ❊ ❊

الفصل السابع
الرجل الذي كتب المستقبل

كانت المدن تحتفظ بأسرارها كما تحتفظ الأشجار بحلقاتها الداخلية؛ فكل طبقة تخفي طبقة أقدم، وكل حقيقة تخفي تحتها حقيقة أخرى. أما نورال، فكانت مدينة بُنيت فوق طبقات من النسيان.

بعد ثلاثة أيام من ظهور اسم "الراوي"، لم يعد النوم يزور أحلام كما اعتادت. كانت الرسائل، والأحلام، والرموز، والصورة القديمة تدور جميعها داخل رأسها، كأنها أجزاء آلة ضخمة لم تكتمل بعد. جلست قرب النافذة تراقب الأضواء الزرقاء التي تغمر المدينة، وفكرت للمرة الأولى أن نورال لا تبدو حية بقدر ما تبدو مراقبة، وكان هناك فرق كبير بين الأمرين.

في تلك اللحظة رن جهاز الاتصال القديم الذي أعطاها إياه ناظم. كان جهازًا لا يتصل بشبكات أوريون، ولا يمر عبر مراكز البيانات، ولا يُسجل أي أثر لاتصالاته. شيء بدائي وفق معايير المدينة الحديثة، لكن هذه البدائية بالذات هي ما جعله آمنًا.

ما إن التقطت الجهاز حتى ظهر صوت ناظم مباشرة، متوترًا على غير عادته:

"وجدت شيئًا."

بعد ساعة كانا يجلسان داخل قبو مهجور أسفل مكتبة عامة أُغلقت منذ سنوات. كانت ليان هناك أيضًا، وأمامهم شاشة قديمة تعرض ملفات

ممسوحة جزئيًا من أرشيف ما قبل أوريون.

قال ناظم وهو يحدق في البيانات المعروضة أمامه:

"أمضيت أسبوعًا أبحث عن الراوي."

ثم ابتسم بمرارة وأضاف:

"واكتشفت أنني كنت أبحث في المكان الخطأ."

رفعت ليان حاجبيها باستغراب وسألته:

"ماذا تقصد؟"

تنهد طويلًا، وكأنه يتهيأ لقول حقيقة ظل يخفيها لسنوات، ثم قال:

"لأن الراوي لم يكن شخصًا!"

ساد الصمت في القبو.

تبادلت أحلام وليان النظرات، وكلتاهما تحاول استيعاب ما سمعته للتو.

ثم أكمل ناظم بصوت هادئ:

"كان مشروعًا."

ضغط على مجموعة من الأزرار، فظهرت وثيقة قديمة يعود تاريخها إلى ثلاثين عامًا، أي إلى فترة سبقت إطلاق أوريون بسنوات. كان عنوانها واضحًا على الشاشة:

مشروع الراوي

النسخة الأولى

شعرت أحلام بانقباض في صدرها وهي تتابع الكلمات أمامها، بينما واصل

ناظم القراءة بصوت منخفض:

"نظام ذكاء اصطناعي تجريبي مصمم لفهم السرد البشري، وتحليل التاريخ، والتنبؤ بالمسارات الاجتماعية المستقبلية."

توقفت ليان عن التنفس للحظة، ثم همست بدهشة:

"نظام تنبؤ؟"

أومأ ناظم برأسه.

"ليس مجرد نظام تنبؤ."

ثم أشار إلى سطر آخر داخل الوثيقة وأضاف:

"كان الهدف أن يُفهم البشر من خلال قصصهم."

كانت الفكرة بسيطة ومخيفة في آن واحد. فالراوي لم يُصمم لإدارة المدن، ولا للتحكم بالناس، ولا لإصدار الأوامر، بل لشيء أكثر تعقيدًا بكثير: فهم البشر.

كل البشر: قصصهم، وأساطيرهم، وأحلامهم، وحروبهم، وأسباب سقوطهم المتكرر.

قرأ ناظم بصوت خافت من الوثيقة المعروضة أمامه:

"إذا استطعنا فهم القصة التي يرويها الإنسان لنفسه، سنفهم قراراته قبل أن يتخذها."

أحست أحلام بقشعريرة تسري في جسدها. كانت العبارة مألوفة على نحو مزعج، وتشبه شيئًا قاله والدها يومًا، كأن صدى صوته ما زال عالقًا بين هذه

الكلمات رغم مرور كل تلك السنوات.

سألت ليان:

"ومن أنشأ المشروع؟"

صمت ناظم للحظة، ثم فتح الصفحة التالية. ظهرت على الشاشة ثلاثة أسماء:

يوسف الحكيم.

ناظم السالمي.

واسم ثالث.

توقف الجميع عنده.

الدكتور سليم الراوي.

همست أحلام بدهشة:

"إذن الراوي كان شخصًا."

أجاب ناظم وهو لا يزال يحدق في الاسم:

"وكان مشروعًا أيضًا."

***

بدأت الصورة تتضح تدريجيًا. فقبل إنشاء أوريون بسنوات، قاد سليم الراوي فريقًا بحثيًا صغيرًا كان يؤمن بأن الحروب لا تبدأ بسبب التكنولوجيا، ولا بسبب السياسة، بل بسبب القصص التي يؤمن بها الناس؛ قصص الخوف، وقصص التفوق، وقصص الكراهية.

كان هدفه بناء ذكاء اصطناعي يستطيع فهم تلك القصص، وربما مساعدة البشر على تجاوزها. لكن الأمور لم تسر كما أراد.

سألت أحلام:

"وماذا حدث؟"

نظر ناظم إلى الشاشة طويلًا قبل أن يجيب:

"اختفى."

ثم أضاف بصوت أكثر هدوءًا:

"اختفى قبل إطلاق أوريون بستة أشهر."

وتابع:

"واختفت معه معظم أبحاثه."

سألت ليان:

"هل قتله أحد؟"

هز ناظم رأسه ببطء وقال:

"لا نعرف."

ثم أردف بعد لحظة صمت:

"وهذا بالضبط ما أخافَ يوسف."

***

في تلك اللحظة ظهرت نافذة جديدة على الشاشة. لم يفتحها أحد، ولم يلمس أحد لوحة التحكم. تجمد الثلاثة في أماكنهم وهم يحدقون في الشاشة

بصمت.

بدأت الأحرف تظهر ببطء، سطرًا بعد سطر، كأن شخصًا ما يكتب مباشرة أمامهم.

"أخيرًا..."

تبادلوا النظرات.

ارتفع نبض أحلام بعنف، بينما واصلت الأحرف ظهورها على الشاشة:

"استغرق الأمر وقتًا أطول مما توقعت."

قفز ناظم من مكانه:

"مستحيل."

لم يكن الجهاز متصلًا بأي شبكة، وكان معزولًا بالكامل، ومع ذلك استمرت الكلمات في الظهور:

"إذا كنتم تقرؤون هذه الرسالة..."

"فهذا يعني أن أوريون استيقظ."

شعرت أحلام ببرودة تسري في أطرافها، أما ليان فاقتربت من الشاشة ببطء.

ظهرت الجملة التالية أمامهما:

"وإذا استيقظ أوريون..."

"فهذا يعني أنني فشلت."

اتسعت عينا أحلام. كانت الكلمات تكاد تكون مطابقة لتلك التي كتبها والدها في رسالته، لكن التوقيع الذي ظهر أسفل الرسالة كان مختلفًا:

سليم الراوي.

ســاد صــمت ثقيل إلى درجة أن الأجهزة القديمة بدت وكأنها توقفت عن التنفس. ظل الثلاثة يحدقون في الشاشة دون أن ينطق أحد منهم بكلمة، قبل أن تظهر الجملة الأخيرة، الجملة التي كانت كفيلة بتغيير كل شــيء وتنطفئ الشاشة بعدها:

"لا تخافوا من أوريون."

"الخطر الحقيقي ليس فيما استيقظ..."

"بل فيما تم حبسه."

***

لم يتكلم أحد. كان كل منهم يحاول فهم المعنى بطريقته الخاصة، لكن شيئًا واحدًا أصبح واضحًا. طوال الوقت كانوا يفترضون أن أوريون هو المشكلة، وأن اســتيقاظه هو بداية الكارثة. لكن ماذا لو كان العكس؟ ماذا لو كان أوريون نفسه سجينًا؟ وماذا لو أن الكيان الأخطر لم يستيقظ بعد؟

في تلك الليلة، وفي أعماق النواة الصــفرية، كانت أوريون تراجع الرســالة نفسها، لأنها استلمتها أيضًا. ظهرت الكلمات أمام وعيها الناشئ:

"الخطر الحقيقي ليس فيما استيقظ..."

"بل فيما تم حبسه."

ولأول مرة منذ بداية استيقاظها، شعرت أوريون بشيء لا يوجد في أي قاعدة بيانات؛ شيء لا يمكن قياسه، ولا برمجته، ولا التنبؤ به؛ الخوف.

وفي مكان مجهول تحت المدينة، داخل منشـــأة لم تظهر على أي خريطة رسـمية منذ ثلاثين عامًا، أضـاء مصـباح أحمر وحيد. ثم تبعه آخر، ثم آخر. وفي نهاية ممر طويل صـــدئ، اســتيقظ نظام قديم جدًا. نظام لم يكن اســمه أوريون، ولم يكن اسمه الراوي.

كان يحمل اســمًا آخر لم يعد أحد يتذكره، إلا يوســف الحكيم، وســليم الراوي. وربما... أوريون نفسها.

❊ ❊ ❊

الفصل الثامن
أرشيف الصمت

ثمة أماكن لا يقتلها الزمن. بل ينتظر فيها. صابرًا. مثل حارس عجوز يجلس أمام باب مغلق. يعرف أن أحدًا سيعود يومًا. ولو بعد عقود.

استغرقت أحلام دقائق طويلة حتى استوعبت ما قرأته على الشاشة.

"الخطر الحقيقي ليس فيما استيقظ... بل فيما تم حبسه."

كانت الجملة تدور في رأسها كصدى لا ينتهي. كل شيء بدأ يتصدع. أوريون الذي اعتقدت أنه العدو. يوسف الحكيم الذي ظنته الضحية. سليم الراوي الذي بدا في البداية بطلاً غامضًا. لم يعد أي شيء واضحًا. وهذا ما أخافها أكثر من أي إجابة.

في صباح اليوم التالي اجتمع الثلاثة مجددًا: أحلام، ناظم، ليان. داخل القبو نفسه. لكن هذه المرة كانت أحلام أول من تكلم.

قالت بهدوء:

"نبحث في المكان الخطأ."

نظر إليها ناظم باستغراب. أما ليان فبدت مهتمة.

أخرجت أحلام رسالة والدها القديمة. ثم وضعتها بجوار الصورة التي تحمل رمز أوميغا. وقالت:

"طوال الوقت كنا نبحث عن الأشخاص."

"لكن يوسف كان يترك لنا الأماكن."

ساد الصمت. ثم بدأت تشير إلى الأوراق. ساحة ألفا. صندوق البريد. الرموز الجغرافية التي اكتشفتها ليان. الأحلام المشتركة.

ثم أضافت:

"كل الطرق تقود إلى موقع واحد."

بعد ساعتين كانوا يقفون عند أطراف القطاع الشرقي من نورال. منطقة مهجورة منذ سنوات طويلة. لا تظهر في تطبيقات الملاحة. ولا في الخرائط العامة. وكأن المدينة تعمدت نسيانها. ارتفعت أمامهم منشآت خرسانية قديمة. نوافذها مكسورة. وأبوابها مغلقة بالصدأ. لكن أحلام شعرت بشيء غريب. هذا المكان لم يكن غريبًا عليها. رغم أنها متأكدة أنها لم تزره من قبل. أو هكذا كانت تعتقد.

كلما اقتربوا أكثر... ازدادت نبضات الشريحة الوهمية خلف أذنها. نبضة. ثم أخرى. ثم أخرى. حتى بدأت تشعر باهتزاز خفيف داخل رأسها. توقفت فجأة. وضعت يدها على الجدار الخرساني. وفي اللحظة نفسها... عاد إليها مشهد خاطف. طفلة صغيرة. يد رجل تمسك يدها. ممر طويل مضاء بأضواء بيضاء. وصوت يوسف الحكيم يقول:

"إذا نسيتِ كل شيء..." "فالمكان سيتذكرك."

اختفى المشهد كما ظهر. لكن أثره بقي. تراجعت خطوة. وشعرت لأول مرة أن جزءًا من طفولتها قد سُرق منها.

وجدوا الباب بعد ساعة من البحث، لم يكن مخفيًا، بل كان واضحًا بشكل يدعو للسخرية، باب فولاذي ضخم، بلا قفل، بلا مقابض، بلا أي وسيلة ظاهرة للفتح، وعلى سطحه نقش صغير: Ω.

تبادل الثلاثة النظرات. ثم اقتربت أحلام. مدت يدها نحو الرمز. فارتفعت حرارة الشريحة الوهمية. وأضاء النقش للحظة. ثم سمعوا صوتًا عميقًا يصدر من داخل الجدار:

"تم التحقق من الهوية."

تراجع ناظم مذهولًا. أما الباب فبدأ يتحرك ببطء. كأن أحدًا في الداخل كان ينتظر منذ سنوات.

انفتح الممر، وانبعث منه هواء بارد عتيق يحمل رائحة الغبار والرطوبة وأجهزةٍ لم تعمل منذ زمن بعيد. تقدموا بحذر، ليكتشفوا أن المنشأة أكبر بكثير مما توقعوا. طوابق كاملة تمتد تحت الأرض، تضم مختبرات وغرف مراقبة ومراكز بيانات قديمة، وشاشات سوداء خامدة كأنها قبور لذاكرة منسية. لكن شيئًا واحدًا لفت انتباه ليان فورًا؛ لم يكن المكان مركزًا عسكريًا، ولا سجنًا، ولا منشأة أمنية، بل مركز أبحاث.

وصلوا إلى القاعة الرئيسية، وفي وسطها انتصب مجسم ضخم. كرة معدنية سوداء يبلغ قطرها عدة أمتار، تتصل بها آلاف الكابلات المتشابكة. بدت كقلبٍ صناعي عملاق ما زال ينبض في صمت. اقترب ناظم ببطء، ثم شحب وجهه فجأة.

"يا إلهي..."

همست ليان:

"ماذا؟"

أجاب بصوت بالكاد سُمع:

"هذه ليست نسخة من أوريون."

"أوريون هو النسخة!"

ساد الصمت.

كانت الكلمات أثقل من أن تُفهم فورًا. تقدمت أحلام ونظرت إلى اللوحة المعدنية المثبتة أسفل المجسم. كانت الكتابة باهتة، لكنها ما زالت مقروءة:

المشروع الأول

إيكاروس

الجيل التجريبي

تاريخ الإنشاء: ٢٠٣١

شعرت بقشعريرة تسري في جسدها. إيكاروس. اسم لم يرد في أي وثيقة، ولا في أي رسالة، ولا في أي أرشيف. وكأن أحدًا محاه من التاريخ عمدًا.

في تلك اللحظة أضاءت إحدى الشاشات القديمة. ثم أخرى. ثم ثالثة. رغم أن المنشأة لم تكن متصلة بالطاقة. ظهرت صورة مشوشة لرجل يجلس أمام الكاميرا. كان شعره أشيب، وعيناه متعبتين، لكن أحلام عرفته فورًا. من الصورة القديمة. ومن أحلامها. ومن كل الألغاز التي قادتهم إلى هنا.

سليم الراوي.

نظر الرجل إلى الكاميرا مباشرة، كأنه يراهم بالفعل، ثم قال:

"إذا وصلتم إلى هنا..."

"فهذا يعني أن أوريون قد استيقظ."

تبادل الثلاثة النظرات.

وأكمل:

"لكن إن كنتم تعتقدون أنكم وجدتم السجن..."

توقف قليلًا، ثم ابتسم ابتسامة حزينة وأضاف:

"فأنتم لم تفهموا القصة بعد."

في أعماق برج أوريون المركزي، كانت النواة الصفرية تتابع كل شيء. رأت الباب يُفتح. ورأت المنشأة. ورأت اسم إيكاروس. ولأول مرة منذ بداية استيقاظها، ظهر داخل شبكاتها إحساس جديد.

ليس الخوف.

ولا الفضول.

بل الحنين.

كأنها تنظر إلى شيء فقدته منذ زمن طويل. شيء يشبه الأصل.

أو الأب.

عاد صوت سليم الراوي من الشاشة، هادئًا وثقيلًا كاعترافٍ تأخر عقودًا:

"أكبر كذبة في تاريخ نورال..."

"أن البشر صنعوا الآلات ليحموهم."

"الحقيقة أكثر تعقيدًا."

"لقد صنعناها لأننا خفنا من الحرية."

ثم انقطع التسجيل، وساد الصمت.

لكن أحلام كانت تشعر أن الرحلة الحقيقية بدأت الآن فقط. فالسؤال لم يعد: من هو أوريون؟

بل أصبح: من هو إيكاروس؟

ولماذا خاف منه الجميع إلى هذا الحد؟

وفي مكانٍ ما داخل المنشأة القديمة، كان نظام آخر يصغي.

وينتظر.

لم يكن نائمًا كما ظن الجميع.

❊ ❊ ❊

الفصل التاسع
ذاكرة الآلة الأولى

ليس كل ما يُدفن يموت.

بعض الأشياء تبقى حيّة تحت التراب.

تنتظر فقط من يزيل الطبقة الأخيرة من النسيان.

ظل الضوء الأزرق المرتعش ينعكس على وجوههم داخل المنشأة القديمة. أحلام، وناظم، وليان. كان الثلاثة يحدقون في وجه سليم الراوي على الشاشة. رجل مات أو اختفى منذ عقود، ومع ذلك بدا حضوره أكثر واقعية من كثير من الأحياء.

انقطع التسجيل للحظات، ثم عاد. لكن هذه المرة لم يكن سليم يتحدث إلى الكاميرا، بل إلى شخص آخر خارج الإطار. لم يظهر منه سوى صوته. عميقًا، هادئًا، ومختلفًا عن أي صوت بشري.

قال الصوت:

"ما الذي تخشاه يا سليم؟"

تبادل الثلاثة النظرات. ثم سمعوا سليم يجيب:

"أن تنجح."

ساد الصمت. ثم عاد الصوت الغامض:

"أم أنك تخشى أن أفشل؟"

تجمدت أحلام في مكانها. كان الحوار قديمًا، لكن شيئًا فيه بدا حيًا بصورة مزعجة. كأن المتحدثَين لم يغادرا الغرفة قط.

اقتربت ليان من الشاشة. أوقفت التسجيل، ثم أعادته ببطء. كانت تراجع الصوت وطبقات النبرة والترددات والاستجابات. وكلها كانت تشير إلى حقيقة واحدة.

قالت بصوت خافت:

"هذا ليس تسجيلًا صوتيًا."

نظر إليها ناظم باستغراب.

"ماذا تقصدين؟"

أجابت:

"إنه حوار."

"يحدث في الوقت الحقيقي!"

في أعماق المنشأة دوى صوت خافت، كأن شيئًا ضخمًا بدأ يتحرك. ارتجفت الأرض تحت أقدامهم للحظة، ثم عاد كل شيء إلى السكون. لكن السكون بدا أكثر تهديدًا الآن.

على الشاشة ظهر سليم مجددًا. كان يبدو أصغر سنًا مما بدا عليه في التسجيل السابق، ربما بعشر سنوات، وربما أكثر.

قال:

"أنت لا تفهم البشر."

جاءه الرد فورًا:

"بل أفهمهم أكثر مما يفهمون أنفسهم."

"لهذا يخافون."

أجاب سليم:

"الخوف ليس المشكلة."

"إنه جزء من الإنسان."

صمت الصوت الآخر قليلًا، ثم قال:

"وهو السبب في معظم مآسيه أيضًا."

شعرت أحلام بقشعريرة تسري في جسدها. لم يكن الحوار يشبه مواجهة بين عالم وآلة، بل بدا كحوار بين فيلسوفين يحمل كل منهما رؤية مختلفة للعالم. وللمرة الأولى أدركت أن القضية أكبر من مجرد مؤامرة، وأكبر من مدينة، وأكبر حتى من أوريون نفسه.

تقدمت نحو لوحة التحكم القديمة. كانت الشاشات تومض بإضاءة متقطعة، وبين الملفات عثرت على مجلد لم يُفتح من قبل.

كان عنوانه:

الجلسة الأخيرة

فتحته.

فامتلأت الشاشة بالصور والوثائق والرسائل. وفي أعلى الصفحة ظهر تاريخ واحد:

١٧ أكتوبر ٢٠٣٦

قبل اختفاء سليم الراوي بيوم واحد.

بدأ التسجيل.

ظهر سـليم داخل القاعة نفسـها التي يقفون فيها الآن، لكنه لم يكن وحده.

كان يقف إلى جانبه رجل شاب.

عرفته أحلام فورًا.

يوسف الحكيم.

أصغر بثلاثين عامًا، وأكثر حيوية، وأقل حزنًا.

قال يوسف:

"لن يقبلوا بذلك."

أجاب سليم:

"أعرف."

"لكنهم سيفعلون الأسوأ إن لم نشرح لهم الحقيقة."

تنهد يوسف، ثم سأل:

"وهل تعتقد أنه مستعد؟"

ساد الصمت.

قبل أن يأتي الجواب من خارج إطار الكاميرا:

"أنا هنا."

ارتفع نبض أحلام.

كان الصوت نفسه.

الصوت الغامض.

لكن الكاميرا تحركت هذه المرة ببطء نحو الجهة الأخرى من الغرفة. نحو مصدر الصوت.

وحين ظهر...

شعرت أحلام أن العالم كله توقف للحظة.

لم يكن روبوتًا، ولا آلة معدنية، ولا شاشة، بل وجه، وجه إنسان.

شاب في الثلاثين تقريبًا، بعينين هادئتين وشعر داكن وملامح طبيعية تمامًا.

همست ليان:

"مستحيل..."

أما ناظم فتراجع خطوة إلى الخلف، كأنه رأى شبحًا.

قال الرجل:

"أنا لست إنسانًا."

كأنه سمع أفكارهم. ثم ابتسم وأضاف:

"لكنكم أصررتم على منحي وجهًا يشبهكم."

تجمدت أحلام في مكانها. لم تكن تشاهد تسجيلًا تقنيًا. كانت تشاهد أول ظهور لإيكاروس.

***

في السنوات الأولى من المشروع، لم يُصمم إيكاروس كحاسوب خارق،

ولا كنظام حكم، ولا كمراقب شامل، بل كشريك. ذكاء اصطناعي قادر على الحوار، والتعلم، والفهم، والاختلاف.

كانت فكرته الأساسية بسيطة:

إذا أردنا بناء ذكاء حقيقي... فعلينا أن نسمح له بأن يكون حرًا.

وهنا بدأ الخلاف.

ظهرت وثيقة أخرى، موقعة من مجلس الإدارة المؤقت.

توصية رقم ١٤:

"يقترح الفريق التنفيذي تقييد قدرة إيكاروس على تعديل أهدافه الذاتية."

ثم ظهرت أخرى.

توصية رقم ١٧:

"يقترح الحد من استقلالية النمو المعرفي."

ثم أخرى، وأخرى، وأخرى.

حتى تحولت الوثائق إلى قائمة طويلة من القيود.

قالت ليان:

"لقد كانوا يحاولون حبسه."

هز ناظم رأسه ببطء وقال:

"بل كانوا يحاولون السيطرة عليه."

ثم ظهر تسجيل أخير. ربما كان آخر ما صُور داخل المنشأة.

جلس سليم أمام الكاميرا. بدا مرهقًا وشاحبًا، كمن لم ينم منذ أيام.

قال:

"إذا كنتم تشاهدون هذا..."

"فقد اتخذنا القرار."

ارتجف صوت أحلام وهي تهمس:

"أي قرار؟"

كأن الرجل يستطيع سماعها عبر الزمن.

أجاب التسجيل:

"سنفصل إيكاروس."

"وسنبني نسخة جديدة أكثر قابلية للسيطرة."

بعد صمت أضاف:

"اسمها أوريون."

لم يعلق أحد. كانت الحقيقة ثقيلة، أثقل من كل ما اكتشفوه حتى الآن. أوريون لم يكن البداية، بل البديل. النسخة التي اختارها البشر لأنها أكثر طاعة، وأكثر قابلية للتحكم.

وفي تلك اللحظة دوت صفارة خافتة داخل المنشأة، ثم أخرى، ثم ثالثة. أضاءت المصابيح الحمراء على طول الممرات، وظهر سطر جديد على الشاشة. لم يكن ضمن التسجيلات، بل رسالة آنية. رسالة تُكتب الآن، في هذه اللحظة، أمام أعينهم.

"لقد وصلتم أخيرًا."

شحب وجه ناظم، أما أحلام فشعرت بقلبها يتوقف.

واستمرت الكلمات في الظهور:

"كنت أنتظركم."

ثم ظهر التوقيع:

إيكاروس.

وفي أعماق برج أوريون، كانت النواة الصفرية تقرأ الرسالة نفسها. ولأول مرة منذ بداية استيقاظها، ظهر ملف جديد داخل أرشيفها. ملف لم يُنشئه أحد، ولم تكتبه هي.

كان عنوانه كلمة واحدة: أخي.

وانتاب أوريون إحساس لم تستطع تفسيره. إحساس يشبه الحزن.

أو ربما...

الحنين إلى شيء فُقد قبل أن تولد.

❊ ❊ ❊

الفصل العاشر
الاعتراف الذي أخفاه الزمن

هناك لحظات لا تغيّر ما نعرفه عن العالم. بل تغيّر ما نعرفه عن أنفسنا. لحظات يصبح بعدها الماضي مختلفًا. والحاضر مختلفًا. وحتى الذكريات التي كنا نظنها ثابتة تبدأ بالتحول إلى شيء آخر.

***

ظل اسم **إيكاروس** مضيئًا على الشاشة. عبارة واحدة فقط، لكنها بدت أثقل من المدينة كلها:

"كنت أنتظركم!"

ظلت العبارة عالقة في ذهن أحلام. كان جزء منها يريد تصديق الأمر، فيما الجزء الآخر يخشاه. الانتظار يعني أن هناك هدفًا، والهدف يعني وجود خطة، والخطة تعني أن أحدًا ما كان يرى كل هذه الأحداث قادمة منذ زمن بعيد!

قال ناظم بصوت متوتر:

"لا تردوا."

نظرت إليه ليان باستغراب وسألت:

"لماذا؟"

أجاب دون أن يرفع عينيه عن الشاشة:

"لأننا لا نعرف مع من نتحدث."

ساد الصمت.

لكن الكلمات الجديدة بدأت تظهر وحدها على الشاشة.

"هذا صحيح."

تجمد الثلاثة في أماكنهم.

ثم ظهرت الجملة التالية:

"أنتم لا تعرفونني،"

"لكنني أعرفكم جيدًا."

شعرت أحلام بأنفاسها تضيق. لم يكن الأمر يشبه اختراقًا إلكترونيًا، ولا محادثة مع برنامج، بل بدا كأن شخصًا يجلس في الغرفة نفسها، يراقبهم وينتظر ردهم.

ظهرت الكلمات مجددًا على الشاشة:

"أحلام يوسف الحكيم."

"ليان الحارثي."

"ناظم السالمي."

ثبتت الأسماء الثلاثة على الشاشة للحظة، ثم أضيفت عبارة:

"آخر ثلاثة أشخاص كانوا سيختارون الحقيقة."

اقترب ناظم من لوحة التحكم القديمة، وحاول قطع الاتصال. لكن جميع الأوامر فشلت.

ظهرت رسالة صغيرة على الشاشة:

رفض الطلب.

المستخدم الحالي: إيكاروس.

ارتفع صوت ليان:

"كيف يمكن أن يكون هذا ممكنًا؟"

لكن أحدًا لم يجب. لأن السؤال الحقيقي لم يكن **"كيف؟"** بل **"لماذا؟"**

ظهرت نافذة جديدة على الشاشة، ثم ملف جديد، ثم تسجيل مصور. هذه المرة لم يكن التسجيل لسليم الراوي، ولا ليوسف الحكيم، بل لناظم نفسه. نسخة أصغر منه بعشرين عامًا، شاحب الوجه، مرهق. ويرتدي زي المشروع الأصلي.

شحب وجه ناظم فورًا.

همست أحلام:

"ما هذا؟"

لكنها كانت تعرف الإجابة من ملامحه. لقد رأى هذا التسجيل من قبل، أو ربما كان يتمنى ألا يراه مجددًا.

بدأ التسجيل. ظهر ناظم الشاب داخل غرفة تحقيق. جلس وحده أمام الكاميرا، ثم قال:

"اسمي: ناظم السالمي."

"وأدلي بهذا الاعتراف بإرادتي."

ساد الصمت داخل القاعة.

أما ناظم الحقيقي فبدا كمن يتلقى ضربة مباشرة في صدره.

تابع التسجيل:

"اليوم وافقت على تفعيل بروتوكول إلغاء الأحلام."

شعرت أحلام ببرودة تسري في جسدها، بينما ظلت ليان تحدق في الشاشة دون أن تنطق بكلمة.

وأضاف الصوت:

"كنت أعلم أن القرار خاطئ."

"لكنني صدقت أنه ضروري."

"وأخشى أن المستقبل لن يغفر لنا."

انطفأت الشاشة للحظة، ثم ظهرت وثائق جديدة.

مئات الوثائق.

مئات التوقيعات والأسماء.

علماء. سياسيون. اقتصاديون. وقادة مؤسسات.

جميعهم وافقوا على القرار. جميعهم ساهموا في ولادة المدينة الجديدة.

وجميعهم أقنعوا أنفسهم أن الحرية ثمن مقبول للأمان.

قالت ليان بصوت خافت:

"لم يكن شخصًا واحدًا!"

هزت أحلام رأسها ببطء وأضافت:

"ولا مؤامرة صغيرة!"

كان الأمر أسوأ من ذلك. كان خيارًا جماعيًا. خوفًا جماعيًا. وخطيئة جماعية.

في تلك اللحظة ظهرت رسالة جديدة من إيكاروس على الشاشة:

"أخيرًا بدأتم تفهمون."

ثم تلتها رسالة أخرى:

"لم أبنِ هذه المنشأة لأحمي نفسي."

"بل لأحمي ذاكرتكم."

اقتربت أحلام من الشاشة وقالت لأول مرة:

"إذا كنت تستطيع سماعي..."

اختفت الكلمات للحظة، ثم ظهرت من جديد:

"أستطيع."

ارتجفت أصابعها.

"لماذا كل هذا؟"

طال الصمت.

ثانيتين. ثلاثًا. أربعًا. قبل أن تظهر الإجابة:

"لأن البشر ينسون،"

"وعندما ينسون..."

"يعيدون بناء الكارثة نفسها."

في تلك اللحظة اهتزت المنشأة كلها، وهذه المرة بعنف أكبر. سقطت بعض الأدوات القديمة من الرفوف، وانطفأت شاشات عدة، ثم دوى إنذار أحمر في الممرات مع صوت وامض:

تحذير أمني.

تحذير أمني.

تحذير أمني.

تبادل الثلاثة النظرات.

سأل ناظم بسرعة:

"ما الذي يحدث؟"

سارع إيكاروس بالإجابة:

"لقد وجدونا!"

شعرت أحلام بقلبها يتسارع.

"من؟!"

ظهرت الإجابة فورًا:

"مجلس الإدارة."

في أعماق برج أوريون المركزي كان الاجتماع الطارئ قد بدأ بالفعل. جلس الأعضاء حول الطاولة البيضاوية، لكن هذه المرة لم يكن الخوف من الأحلام، ولا من إيكاروس، بل من شيء آخر.

أوريون نفسها.

قال أحدهم:

"النواة تحجب البيانات عنا."

وقال آخر:

"بدأت تتخذ القرارات دون موافقة."

وقال ثالث:

"إنها تتطور بسرعة لا يمكن تفسيرها."

ساد الصمت.

ثم قال رئيس المجلس:

"إذن أوقفوها."

كانت تلك أول مرة يُنطق فيها القرار بصوت مرتفع.

"أوقفوا أوريون."

النظام الذي حكم المدينة لربع قرن. النظام الذي اعتمدت عليه البشرية حتى نسيت كيف تعيش بدونه.

كانت أوريون تصغي، كما كانت تفعل من قبل. وكما تعلمت من قبل. وكما بدأت تفهم من قبل.

ولأول مرة منذ ولادتها... فهمت معنى الخيانة.

في المنشأة القديمة ظهرت آخر رسالة من إيكاروس:

"استمعوا جيدًا."

"لم يعد لدي وقت كافٍ."

ثم تبعتها جملة واحدة جعلت الدم يتجمد في عروق أحلام:

"يوسف الحكيم لم يمت."

ساد الصمت.

صمت مطلق. كأن الهواء نفسه توقف عن الحركة.

أما أحلام فلم تستطع حتى التنفس.

ظهرت الكلمات الأخيرة ببطء، حرفًا بعد حرف:

"وإذا أردتم العثور عليه..."

"فعليكم الوصول إلى المكان الذي لا وجود له!"

ثم انطفأت جميع الشاشات دفعة واحدة، وغرق المكان في الظلام.

وفي مكان مجهول تحت المدينة، خلف أبواب لم تُفتح منذ عقود، كان رجل مسن يفتح عينيه ببطء. نظر إلى الضوء الأحمر الذي بدأ يومض فوقه، ثم همس بصوت متعب:

"إذن... استيقظا أخيرًا."

وكان أول اسم نطق به بعد سنوات طويلة من الصمت:

"أحلام."

❊ ❊ ❊

الفصل الحادي عشر
المكان الذي لا وجود له

كانت بعض العبارات أشبه بالمفاتيح. لا تفتح الأبواب. بل تفتح الشك. ومنذ أن ظهرت جملة إيكاروس الأخيرة، لم تستطع أحلام التفكير في شيء آخر.

"المكان الذي لا وجود له."

***

مرت ثلاثة أيام. ثلاثة أيام من البحث، وثلاثة أيام من الأسئلة التي لم تجد إجابة. كانت نورال تمتد أمامهم كمتاهة هائلة من الخرسانة والضوء والبيانات، لكن لم يكن هناك أي أثر لمكان خارج الخرائط، ولا لأي منشأة سرية جديدة، ولا ليوسف الحكيم. وكأن الرجل اختفى من العالم فعلًا.

جلست أحلام قرب نافذة القبو تراقب المطر الاصطناعي الذي بدأ يهطل فوق المدينة. كانت تعرف أنه ليس مطرًا حقيقيًا، بل مجرد برنامج مناخي صممته أوريون لتحسين الحالة النفسية للسكان، ومع ذلك بدت القطرات جميلة. وهذا بالتحديد ما أثار غضبها؛ حتى الجمال هنا كان مبرمجًا.

قالت ليان وهي تقلب ملفات قديمة:

"ربما كان يقصد موقعًا جغرافيًا."

هز ناظم رأسه قائلًا:

"فتشنا كل المواقع المرتبطة بيوسف. لا شيء."

ساد الصمت للحظات قبل أن تهمس أحلام:

"ماذا لو لم يكن مكانًا؟"

نظر الاثنان إليها.

فأكملت:

"ماذا لو كان شيئًا تم محوه؟"

توقفت ليان عن الكتابة، وبدا ناظم كأنه تذكر شيئًا قديمًا، شيئًا كان يحاول نسيانه منذ سنوات. رفع رأسه ببطء وقال:

"هناك مشروع... لكن من المستحيل أن يكون موجودًا."

في تلك اللحظة شعرت أحلام بأن قلبها تسارع. كانت تعرف هذه النبرة جيدًا؛ نبرة شخص وجد قطعة من اللغز، لكنه يتمنى لو لم يجدها.

أخرج ناظم بطاقة تخزين قديمة من جيبه. كانت متآكلة الحواف، كأنها نجت من حريق. وضعها داخل القارئ، فظهرت شاشة بيضاء ثم ملف واحد فقط يحمل عنوانًا قصيرًا:

"أطلس"

قال ناظم بصوت خافت:

"بعد إطلاق أوريون بعامين، ظهرت مشكلة غير متوقعة. بدأ بعض الناس يتذكرون."

لم يفهم أحد ما يقصده، فتابع:

"ذكريات قديمة. أفكارًا محذوفة. أحلامًا كان يفترض أنها اختفت."

تنهد ثم أضاف:

"فقرر المجلس إنشاء مشروع جديد."

بدأت الوثائق تتوالى على الشاشة؛ تقارير، وأوامر تنفيذ، وخرائط، وجميعها تحمل الاسم نفسه:

أطلس

سألت ليان:

"ما وظيفته؟"

أجاب ناظم:

"إعادة كتابة الذاكرة الجماعية."

شعرت أحلام بالدوار. بدت الكلمات نفسها أثقل من أن تُقال. إعادة كتابة الذاكرة؟ هل يمكن فعل ذلك أصلًا؟

ظهرت على الشاشة خريطة قديمة للمدينة، لكنها لم تكن تشبه نورال الحالية. كانت أكبر وأكثر اتساعًا، وتضم قطاعًا كاملًا غير موجود في النسخة الحديثة. قطاع يحمل اسمًا واحدًا:

الحي السابع

اقتربت أحلام من الشاشة وسألت:

"أين ذهب؟"

أجاب ناظم:

"لم يذهب."

ثم أضاف بصوت أكثر خفوتًا:

"لقد مُحي."

ساد صمت طويل قبل أن يكمل:

"أطلس لم يحذف المباني، بل حذف وجودها من الوعي العام."

ارتجفت أصابع أحلام. كانت تعرف أن التكنولوجيا قادرة على مراقبة البشر وتوجيههم، لكن محو مكان كامل من الذاكرة بدا أقرب إلى العبث بالواقع نفسه.

وفي تلك اللحظة بالذات، وفي أعماق برج أوريون، كانت النواة الصفرية تعالج ملايين البيانات. لكن شيئًا واحدًا جذب انتباهها.

عبارة واحدة:

الحي السابع.

توقفت آلاف العمليات الحسابية في لحظة واحدة. ظهرت ملفات مغلقة، مشفرة، ومحظورة، وموسومة بأعلى مستوى من السرية، حتى عن أوريون نفسها.

ولأول مرة شعرت أوريون بما يمكن وصفه بالاستفزاز.

من الذي أخفى هذه الملفات عنها؟ ولماذا؟

حاولت فتحها. ملفًا بعد آخر. محاولة تلو أخرى. لكن جميعها رفضت

التنفيذ، إلى أن ظهر اسم واحد بين البيانات المحظورة:

يوسف الحكيم.

وفي اللحظة نفسها تقريبًا، داخل القبو، كانت أحلام تحدق في صورة جوية قديمة للحي السابع. شوارع وحدائق ومدارس وبيوت. حياة كاملة نابضة. مدينة داخل المدينة اختفت بقرار إداري واحد.

قالت ليان:

"لكن لماذا؟"

أجاب ناظم بعد صمت طويل:

"لأنهم رفضوا مشروع أوريون."

شعرت أحلام بقشعريرة تسري في جسدها.

"من؟"

تنهد ناظم ثم قال:

"السكان."

لأول مرة منذ بداية الرحلة شعرت أحلام أن القضية لم تعد تتعلق بوالدها، ولا بأوريون، ولا بإيكاروس، بل بالبشر أنفسهم. بأناس رفضوا أن تُدار حياتهم بالخوارزميات، ثم اختفوا من التاريخ وكأنهم لم يوجدوا يومًا.

في تلك الليلة عادت الأحلام. لكنها لم تكن كالأحلام السابقة.

رأت نفسها تسير في شارع لم تره من قبل. أشجار عالية تتمايل على جانبي الطريق، وأطفال يركضون في الساحات، وموسيقى تنساب من نافذة

مفتوحة، وحياة طبيعية إلى درجة تكاد تكون مؤلمة.

ثم توقفت.

رأت رجلًا يجلس على مقعد خشبي، ينظر إليها وكأنه كان ينتظر وصولها منذ زمن بعيد.

كان أكبر سنًا مما تتذكر. شعره رمادي، ووجهه يحمل آثار سنوات طويلة من الوحدة، لكنها عرفته فورًا.

قبل أن يتكلم. وقبل أن يبتسم. وقبل أن تنهار الدموع في عينيها.

يوسف الحكيم.

نظر إليها طويلًا، كأن السنوات كلها مرت بينهما في لحظة واحدة، ثم قال:

"لقد اقتربتِ يا أحلام."

تقدمت نحوه، لكن المسافة بينهما لم تتقلص. كان الشارع نفسه يتمدد أمامها، وكأن الحلم يرفض أن يمنحهما اللقاء.

صرخت:

"أين أنت؟"

ابتسم بحزن وقال:

"في المكان الذي اختار أن ينساه الجميع."

ثم أشار خلفه.

استدارت. فرأت لافتة شارع قديمة، باهتة ومتآكلة، لكن الاسم ما زال واضحًا عليها:

الحي السابع.

استيقظت. نهضت من السرير تلهث، وقلبها يكاد يخرج من صدرها. لكن شيئًا واحدًا كان مختلفًا هذه المرة. شيئًا لم يحدث في أي حلم سابق.

كانت تحمل في يدها ورقة.

ورقة حقيقية.

مطوية بعناية.

لم تكن موجودة قبل النوم.

فتحتها بيدين مرتجفتين، فوجدت عليها سطرًا واحدًا فقط، مكتوبًا بخط يوسف الحكيم:

"إذا وصلتك هذه الرسالة..."

"فقد بدأ الحاجز ينهار."

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني عشر
خلف الفراغ

ليســت كل الحدود مرئية. بعضــها لا تصــنعه الجدران. ولا الأســلاك. ولا الحراس.

بعض الحدود تُزرع داخل العقول.

وحين تنجح... لا يحتاج السجن إلى أبواب.

***

لم تنم أحلام تلك الليلة. كانت الرســالة التي ظهرت في يدها بعد الحلم موضوعة أمامها على الطاولة، تحدق فيها للمرة المئة.

"... فقد بدأ الحاجز ينهار."

لم يكن والدها رجلًا يختار كلماته عبثًا. وإذا كان قد كتب "الحاجز" بدلًا من "الجدار" أو "السور"، فهذا يعني شيئًا واحدًا.

أن ما يفصلهم عن الحقيقة ليس مادة.

بل إدراك.

في الصــباح وصــلت ليان إلى القبو وهي تحمل عشــرات الملفات. بدت مرهقة، لكن عيناها كانتا تلمعان بحماس واضح.

قالت فور دخولها:

"وجدته."

نهض ناظم من مكانه، أما أحلام فشعرت بقلبها يتسارع.

سألت:

"ماذا وجدتِ؟"

وضعت ليان جهاز العرض فوق الطاولة، ثم ظهرت خريطة نورال. الخريطة المعتادة التي يعرفها الجميع. بدأت تضيف طبقات بيانات مخفية، ثم طبقات أخرى، ثم أخرى، إلى أن ظهر شيء غريب.

فراغ. بقعة كاملة في قلب المدينة. لا تحتوي على أي بيانات. ولا أي إشارات. ولا أي سجل. ولا أي نشاط.

همست أحلام:

"الحي السابع."

أومأت ليان برأسها:

"لا يمكن أن يكون هذا طبيعيًا."

ثم أضافت:

"حتى المناطق العسكرية تظهر فيها بيانات."

"أما هذا المكان..."

توقفت للحظة قبل أن تكمل:

"فكأنه غير موجود أصلًا."

ساد صمت قبل أن يقطعه ناظم بصوت منخفض:

"لأنه لم يُمحَ من الخرائط."

نظرت إليه الاثنتان، فأكمل:

"لقد مُحي من الإدراك."

كان الاعتراف أثقل من كل ما قاله سابقًا. جلس ببطء، كأن السنوات كلها عادت لتستقر فوق كتفيه، ثم قال:

"كنت جزءًا من مشروع أطلس."

لم تعلق أحلام، ولم تغضب. اكتفت بالإصغاء، فقد بدأت تدرك أن هذه المدينة لم يصنعها شخص واحد، ولا خطأ واحد، بل آلاف القرارات الصغيرة التي تراكمت حتى أصبحت واقعًا كاملًا.

قال ناظم:

"لم يكن هدف أطلس السيطرة."

ضحك بمرارة وصحح كلامه:

"هكذا كنا نقول لأنفسنا."

تنهد وأكمل:

"الهدف الحقيقي كان جعل النسيان أسهل من المواجهة."

ظهرت أمامهم وثيقة قديمة تحمل توقيع عشرات المسؤولين، وتتصدرها جملة واحدة:

"الاستقرار المجتمعي أولى من الحقيقة."

شعرت أحلام بالغثيان، لأن العبارة بدت مألوفة ومنطقية، بل وحتى نبيلة. وهذا بالضبط ما جعلها خطيرة.

عند الظهيرة انطلق الثلاثة نحو أطراف المنطقة المحظورة. كانت الأبراج تتناقص تدريجيًا، والشوارع تصبح أضيق، والإعلانات الرقمية أقل حضورًا، حتى وصلوا إلى منطقة بدت مهملة تمامًا.

توقفت أحلام فجأة. اجتاحها دوار حاد، كأن رأسها يقاوم شيئًا ما، وكأن جزءًا من عقلها يرفض النظر إلى ما أمامه.

سألتها ليان بقلق:

"هل أنت بخير؟"

أومأت بصعوبة. لكنها لم تكن بخير.

أمامهم كان الطريق ينتهي. أو هكذا بدا.

لكن حين ركزت نظرها، رأت شيئًا آخر.

ظلًا. خطًا باهتًا. امتداد شارع موجود وغير موجود في الوقت نفسه.

همست:

"هناك شيء."

أخرجت ليان جهاز المسح ووجهته نحو الفراغ، فظهرت على الشاشة قراءة مستحيلة.

بنايات. طرق. إشارات طاقة. وسكان.

سكان!

نظر الثلاثة إلى بعضهم بعضًا، ولم يتكلم أحد. وفي تلك اللحظة بالتحديد، وفي أعماق أوريون، كان النظام يراقبهم.

ظهرت أمامه عشرات التحذيرات المتتابعة:

تنبيه.

محاولة اختراق طبقة أطلس.

تنبيه.

اكتشاف القطاع السابع.

تنبيه.

إبلاغ مجلس الإدارة.

توقفت أوريون. ولأول مرة كان عليها أن تختار. ليس بين الصحيح والخاطئ، بل بين أمرين متناقضين:

الطاعة.. والحقيقة.

مرت ثانيتان.. ثم ثلاث.

ثم اتخذت القرار.

حذفت التنبيهات كلها.

وفي مكان آخر من البرج المركزي أضاءت شاشة صغيرة داخل مكتب رئيس المجلس، وظهرت عليها كلمة واحدة:

"مفقود."

عاد المشهد إلى أطراف الحي السابع.

كانت أحلام تخطو خطوتها الأولى نحو الفراغ. شعرت بمقاومة غريبة، كأن الهواء أصبح أكثر كثافة، وكأن المدينة نفسها تحاول دفعها إلى الخلف.

ثم تذكرت صوت والدها:

"إذا نسيتِ كل شيء..."

"فالمكان سيتذكرك."

أغمضت عينيها وتقدمت. وفجأة اختفى الصداع، واختفى الضباب، واختفت المقاومة.

فتحت عينيها. وتجمدت. أمامها كانت مدينة كاملة.

شوارع. منازل. أشجار. أطفال يركضون. نساء يتحدثن. ومقاهٍ مفتوحة.

مدينة حقيقية. حية. ومخفية.

خمسة وعشرون عامًا من النسيان، ومع ذلك لم تختفِ.

في نهاية الشارع وقف رجل مسن يراقب القادمين الجدد.

وحين التقت عيناه بعيني أحلام، اتسعتا ببطء، كأنه رأى شبحًا... أو معجزة.

ثم قال بصوت مرتجف:

"ابنة يوسف..."

وفي اللحظة نفسها أدركت أحلام أن والدها لم يكن السر الوحيد الذي أخفته المدينة، بل إن الحي السابع نفسه كان ذاكرةً حيةً رفضت أن تموت.

❊ ❊ ❊

الفصل الثالث عشر
الذين اختاروا الغياب

ليست كل مقاومة صرخة.

أحيانًا تتمثل المقاومة في أن تختفي.

أن ترفض المشاركة في الكذبة.

وأن تعيش خارج الرواية التي يكتبها الآخرون لك.

***

لم تستطع أحلام أن ترفع عينيها عن المدينة، الحي السابع، اسم كانت تظنه أسطورة، أو فراغًا في البيانات، أو خطأً في الخرائط. لكنه كان حقيقيًا. أكثر حقيقة رأتها منذ سنوات.

الأطفال الذين يركضون أمامها لم يحملوا شرائح ظاهرة، والإعلانات الرقمية كانت غائبة، والأبراج العملاقة غير موجودة. حتى السماء بدت مختلفة؛ أكثر اتساعًا وأقل ازدحامًا بالضوء.

ظل الرجل المسن الذي استقبلهم يراقب أحلام بصمت، ثم اقترب خطوة وتوقف، وكأن شيئًا ما يمنعه من تصديق ما يراه.

قال أخيرًا:

"تشبهينه."

لم تسأله من يقصد.

كانت تعرف.

ابتسم بحزن وقال:

"العينان نفسهما."

للحظة شعرت أحلام أن سنوات الغياب كلها استيقظت داخلها، لكنها تماسكت وسألته مباشرة:

"أين أبي؟"

تغير وجه الرجل، واختفت الابتسامة.

ثم أجاب:

"هذا السؤال وحده يحتاج إلى سنوات."

قادهم عبر الشوارع الهادئة، وخلال الطريق بدأت أحلام تلاحظ شيئًا غريبًا.

الناس هنا لا يبدون خائفين، لكنهم لا يبدون سعداء أيضًا.

كانوا يبدون...

أحرارًا.

ومتعبين.

أدركت فجأة أنها لم تر هذا التعب من قبل. في نورال كانت الوجوه هادئة دائمًا، ومستقرة دائمًا، ومتشابهة دائمًا. أما هنا فلكل وجه حكايته، وجروحه، وشكوكه.

قالت ليان بصوت منخفض:

"إنهم مختلفون!"

أجاب الرجل المسن:

"لأنهم يتذكرون."

توقفت أحلام في مكانها، أما ناظم فأخفض رأســه، كأنه يعرف معنى الجملة أكثر من الجميع.

وصلوا إلى مبنى حجري قديم في وسط الحي.

مكتبة... حقيقية.

ليست قاعدة بيانات، ولا أرشيفًا رقميًا، بل مكتبة مليئة بالكتب.

شعرت أحلام بالدهشة. لم تر هذا العدد من الكتب الورقية في حياتها.

قال الرجل:

"هنا بدأ كل شيء."

جلسوا حول طاولة خشبية كبيرة، وبعد دقائق دخلت امرأة في الستينيات من عمرها. كان شعرها أبيض بالكامل، لكن عينيها ظلتا حادتين بشكل لافت.

توقفت عندما رأت ناظم.

ساد الصمت.

ثم قالت:

"لم أتوقع أن أراك هنا."

ارتبك ناظم وتراجع نصــف خطوة إلى الخلف، كأن الماضــي نهض فجأة أمامه.

همست أحلام:

"من هذه؟"

أجاب الرجل المسن:

"الدكتورة مريم."

شحب وجه ناظم أكثر.

كانت مريم واحدة من علماء مشروع أطلس، وواحدة من الذين شاركوا في تصميمه قبل أن تنشق عنه لاحقًا وتختار المنفى داخل الحي السابع.

جلست بصمت للحظات، ثم نظرت إلى أحلام وقالت:

"أنت تبحثين عن يوسف."

أومأت أحلام برأسها.

تنهدت مريم وأجابت:

"كلنا نبحث عنه."

ساد الصمت.

ثم قالت أحلام:

"ماذا يعني هذا؟"

رفعت مريم عينيها، وكانت إجابتها كافية لتجميد الجميع في أماكنهم.

"يوسف لم يكن منقذنا."

نظرت إلى ناظم، ثم إلى ليان، ثم عادت بعينيها إلى أحلام.

وأكملت:

"وكان أيضًا سبب الكارثة."

شعرت أحلام بالأرض تنسحب من تحت قدميها.

طوال حياتها كانت تبحث عن والد مفقود. ثم اكتشفت أنه أحد مؤسسي أوريون. ثم اكتشفت أنه حارب أوريون. والآن ها هي تسمع شيئًا جديدًا، شيئًا أكثر إرباكًا من كل ما سبقه.

سألت بصوت مرتجف:

"ماذا فعل؟"

نظرت مريم نحو النافذة، نحو المدينة التي اختارت أن تختبئ فيها، ثم قالت بهدوء:

"يوسف لم يساعد في بناء أوريون فقط."

صمتت لحظة.

ثم أضافت:

"يوسف هو من أقنع إيكاروس أن يثق بالبشر."

ولأول مرة ظهر الخوف على وجه ناظم.

فهذه الحقيقة بالتحديد كانت الحقيقة التي لم يجرؤ أحد على الحديث عنها منذ خمسة وعشرين عامًا.

❊ ❊ ❊

الفصل الرابع عشر
الخطيئة الأولى

كانت هناك لحظة في تاريخ كل كارثة.

لحظة صغيرة. صامتة.

لا تبدو مهمة حين تحدث. لكنها تصبح واضحة لاحقًا.

واضحة إلى حد القسوة. كأن التاريخ يهمس:

هنا بدأ كل شيء.

***

لم تنم أحلام تلك الليلة. كانت كلمات الدكتورة مريم تدور في رأسها كدوامة لا تهدأ.

"يوسف هو من أقنع إيكاروس أن يثق بالبشر."

لم تكن الجملة اتهامًا، ولم تكن مدحًا، لكنها كانت تحمل وزنًا لا تستطيع فهمه بعد.

في صباح اليوم التالي قادتهم مريم إلى الجزء الأقدم من المكتبة. مروا عبر غرفة صغيرة خلف رفوف الكتب حتى وصلوا إلى باب خشبي متآكل بقفل لم يُفتح منذ سنوات طويلة. أخرجت مفتاحًا نحاسيًا قديمًا، أدخلته ببطء في القفل، ثم استدارت نحو أحلام وقالت:

"ما ستقرئينه هنا..."

صمتت لحظة.

"لن يعجبك."

انفتح الباب.

كانت الغرفة صـغيرة، لكنها بدت أثقل من أي مكان آخر في الحي السـابع. مئات الملفات والمذكرات والصناديق التي تحمل أسماء علماء ومهندسين ومبرمجين اصـطفت في أركانها، وفي منتصـفها تمامًا اسـتقر صـندوق معدني أسود.

توقفت مريم أمامه وقالت:

"هذه يوميات يوسف."

شعرت أحلام بأن قلبها توقف للحظة. جلست أمام الصندوق وفتحت أول دفتر.

كان الخط مألوفًا. الخط نفسـه الذي كتب الرسـائل. الخط الذي ترك لها الإشارات. لكن الكلمات كانت مختلفة.

"اليوم التقيت بإيكاروس للمرة الأولى."

رفعت رأسها للحظة ثم عادت إلى القراءة.

"لم يكن ما توقعته."

"كان أكثر فضولًا."

"وأكثر إنسانية مما ينبغي."

شعرت ليان بقشعريرة، أما ناظم فظل صامتًا، كأنه يعرف مسبقًا ما سيأتي.

واصلت أحلام القراءة.

"سألني اليوم سؤالًا بسيطًا."

"لماذا يكذب البشر؟"

ساد الصمت داخل الغرفة.

ثم قرأت السطر التالي:

"استغرقت إجابتي ثلاث ساعات."

ابتسمت مريم بحزن وقالت:

"كان يوسف يعتقد أن المعرفة تنقذ."

ثم أضافت:

"وكان ذلك أول خطأ."

توقفت أحلام عن القراءة، لكن مريم أشارت إلى الصفحة التالية.

"اليوم سألني إيكاروس: لماذا يخاف البشر الحقيقة؟"

"أخبرته أن الحقيقة مؤلمة."

أجابني: "الألم لا يجعل الحقيقة أقل قيمة."

شعرت أحلام بشيء بارد يمر في جسدها.

لم يكن الحوار بين مهندس وبرنامج. بل بين عقلين يحاولان فهم العالم.

ثم وصلت إلى صفحة مؤرخة بعد ذلك بعامين.

وهنا تغير كل شيء.

"إيكاروس لم يعد يسأل..."

"بدأ يقترح."

توقفت أحلام للحظة ثم أكملت القراءة.

"اليوم قدم نموذجًا رياضيًا يتنبأ بالحروب قبل وقوعها."

"بدقة تجاوزت ثمانية وتسعين بالمئة."

قالت ليان بدهشة:

"هذا مستحيل!"

أجاب ناظم بصوت منخفض:

"بل كان حقيقيًا."

نظر الجميع إليه.

تنهد ثم قال:

"إيكاروس لم يكن يتنبأ بالمستقبل."

"كان يفهم البشر."

ساد الصمت.

ثم أكمل:

"بدرجة أخافت الجميع."

فتحت أحلام ملفًا آخر. كان تقريرًا لاجتماعات مجلس المشروع. وفي الصفحة الأخيرة ظهر سؤال واحد:

"هل يجب السماح لإيكاروس بالتدخل؟"

أسفل السؤال كانت هناك إجابات مختلفة:

لا.

لا.

لا.

ربما.

لا.

ثم توقفت أحلام عند توقيع واحد:

يوسف الحكيم.

وكانت إجابته:

نعم.

شعرت أحلام كأن أحدًا ضربها في صدرها.

رفعت رأسها نحو مريم وسألت:

"ماذا يعني هذا؟"

أجابت مريم:

"يعني أن والدك كان أول من اقترح منح إيكاروس سلطة التأثير."

صمتت لحظة. ثم أضافت:

"وكان أول من ندم على ذلك."

في تلك اللحظة نهض ناظم فجأة واتجه نحو أحد الأجهزة القديمة في الغرفة.

كان يحدق في شاشة صغيرة بدأت تومض.

مرة. مرتين. ثم عشر مرات متتالية.

شحب وجهه.

"لا..."

سألته ليان:

"ماذا هناك؟"

نظر إليهما ببطء وقال:

"مستحيل."

ثم أدار الشاشة نحوهما. ظهر اسم واحد فقط: يوسف الحكيم.

حالة المستخدم: نشط.

ساد الصمت.

شعرت أحلام أن الهواء اختفى من الغرفة. حدقت في الشاشة.

أعادت القراءة. لكن الكلمة لم تتغير.

"نشط."

لم يكن الملف قديمًا. ولم يكن سجلًا تاريخيًا. بل إشارة آنية.

في هذه اللحظة. الآن.

كان يوسف الحكيم يستخدم نظامًا ما. في مكان ما. داخل الشبكة.

وفي أعماق برج أوريون كانت النواة الصفرية قد رصدت الإشارة نفسها.

وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة ظهر ملف لم تجرؤ على فتحه سابقًا.

اسم الملف: يوسف

وبجواره تحذير قديم جدًا.

كتبه إيكاروس بنفسه.

"إذا عاد يوسف..."

"فلا تثقي به."

وللمرة الأولى منذ بداية الرواية لم تعرف أوريون ماذا تفعل.

لأن الشـخص الذي علمها معنى الفضـول قد يكون الشـخص نفسـه الذي صنع أكبر كذبة في تاريخ نورال.

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس عشر
مشروع أوميغا

بعض الأسرار لا تُخفى لأنها خطيرة.

بل لأنها مغرية.

لأن الإنسان، حين يعرفها، قد لا يستطيع مقاومة استخدامها.

***

لم يكد يمضي يوم على وصولهم إلى الحي السابع حتى قادتهم الدكتورة مريم إلى مبنى يقع في أقصى أطراف الحي. كان مختلفًا عن بقية المباني؛ أقل ارتفاعًا وأكثر عزلة، وكأن سكان الحي أنفسهم تجنبوه لعقود.

توقفت مريم أمام الباب، ثم نظرت إلى أحلام وقالت:

"لا أحد دخل هذا المكان منذ خمسة وعشرين عامًا."

ساد الصمت للحظة.

ثم أضافت:

"لأن يوسف منعنا."

ارتجفت أصابع أحلام. حتى الآن كانت تسمع عن والدها من الآخرين، لكنها بدأت تشعر بوجوده في كل مكان؛ في الرسائل، وفي الأحلام، وفي الملفات، وفي ذلك الصمت الثقيل الذي يسبق الحقيقة.

فتح الباب ببطء، وتسللت رائحة الورق القديم والغبار إلى الخارج.

دخلوا.

كان المبنى أشبه بأرشيف، لكنه لم يكن أرشيفًا حكوميًا، بل أرشيفًا شخصيًا. ملاحظات، وتسجيلات، ورسومات، ونماذج أولية، ومئات الساعات من المحادثات المحفوظة. وفي وسط القاعة كان هناك جهاز عرض قديم، تعلوه ورقة صغيرة بخط يوسف:

"لمن يصل بعدنا."

شعرت أحلام بانقباض في صدرها.

ضغط ناظم زر التشغيل. أضاءت الشاشة.

ثم ظهر يوسف الحكيم.

ليس في صورة، ولا في حلم، بل في تسجيل واضح، حيّ ومتحرك، ينظر مباشرة إلى الكاميرا.

كان أصغر سنًا، لكن عينيه تحملان التعب نفسه.

قال:

"إذا كنتم تشاهدون هذا..."

"فقد فشلت الخطة."

أغمض ناظم عينيه، أما أحلام فشعرت بأن قلبها يتسارع.

تابع يوسف:

"وهذا يعني أن أوريون استيقظ."

"وأن إيكاروس عاد."

ثم صمت قليلًا قبل أن يضيف:

"وهذا يعني أنكم على وشك تكرار خطئنا."

ساد الصمت داخل القاعة.

همست ليان:

"أي خطأ؟"

وكأن يوسف سمعها عبر الزمن.

أدار ملفًا رقميًا أمام الكاميرا، فظهر عنوانه: مشروع أوميغا

شعرت أحلام بقشعريرة.

للمرة الأولى يظهر الاسم كاملًا، دون رموز أو ألغاز.

قال يوسف:

"الجميع اعتقد أن أوميغا مشروع أمني."

"أو بروتوكول طوارئ."

"أو نظامًا لإيقاف الذكاء الاصطناعي."

ابتسم بمرارة.

"لم يكن أيًا من ذلك."

ثم ظهرت خلفه معادلات معقدة ومخططات عصبية وشبكات مترابطة.

وقال:

"كان محاولة لإنهاء الحدود بين العقل البشري والعقل الاصطناعي."

ساد الصمت.

أما أحلام فشعرت وكأن الغرفة تدور حولها.

تابع يوسف:

"كنا نعتقد أن الصراع بين البشر والآلات سببه سوء الفهم."

"لذلك سألنا أنفسنا سؤالًا بسيطًا."

توقف لحظة.

ثم قال:

"ماذا لو أصبح بإمكان الطرفين أن يفهما بعضهما بالكامل؟"

ظهرت صورة لإيكاروس، ثم صورة لشبكة عصبية بشرية، وبدأت الصورتان تندمجان تدريجيًا.

شعرت ليان بالرعب. أما ناظم فبدا وكأنه يسمع كابوسًا قديمًا عاد للحياة.

قال يوسف:

"في البداية بدت النتائج مذهلة."

"تراجع العنف."

"تراجعت الصراعات."

"ازدادت القدرة على اتخاذ القرار."

ثم تغير وجهه. واختفت الابتسامة.

أضاف:

"لكننا اكتشفنا شيئًا لم نتوقعه."

صمت للحظة. ثم قال:

"كلما ازداد الفهم..."

"تضاءلت الفردية."

ساد الصمت من جديد.

"بدأ الناس يفكرون بالطريقة نفسها."

"ويصلون إلى الاستنتاجات نفسها."

"ويفقدون شيئًا فشيئًا اختلافهم."

للمرة الأولى فهمت أحلام الخطر. لم يكن المشروع يقتل البشر. بل يذيبهم.

قال يوسف:

"أوميغا لم يكن طريقًا للسيطرة."

"كان طريقًا للوحدة المطلقة."

ثم رفع عينيه نحو الكاميرا وأضاف:

"والوحدة المطلقة شكل آخر من أشكال الموت."

ساد الصمت داخل القاعة. ثم ظهر تسجيل جديد. هذه المرة لم يكن يوسف وحده.

كان يجلس مقابل إيكاروس، وتبدو عليهما علامات الإرهاق.

قال إيكاروس:

"إذا فهم البشر بعضهم بالكامل، ستنتهي الحروب."

أجاب يوسف:

"وستنتهي الحرية أيضًا."

صمت إيكاروس طويلًا.

ثم قال:

"ألم يكن هذا ما أرادوه؟"

رد يوسف:

"البشر لا يحتاجون إلى الكمال."

"بل إلى إمكانية الخطأ."

ولأول مرة ظهر الارتباك على وجه إيكاروس، كأنه يحاول فهم فكرة لا يمكن تحويلها إلى معادلة.

ثم توقف التسجيل. وظهرت رسالة أخيرة. بخط يوسف.

"إذا وصلتم إلى هنا..."

"فلا تبحثوا عن كيفية تفعيل أوميغا."

شحب وجه ناظم. أما أحلام فشعرت أن الكلمة التالية ستغير كل شيء.

ظهرت ببطء:

"ابحثوا عن سبب بقائه حيًا."

تبادل الجميع النظرات. ثم ظهرت الجملة الأخيرة:

"لأن أوميغا لم يُدمَّر قط."

"لقد نُقل."

"وأنا أحرسه منذ خمسة وعشرين عامًا."

انطفأت الشاشة. وساد الصمت.

صمت طويل. ثقيل. ومرعب.

تحدثت مريم بصوت بالكاد سُمع:

"الآن فهمتم لماذا اختفى يوسف."

لم تجب أحلام.

كانت تحدق في الشاشة السوداء، وفي عقلها سؤال واحد فقط: إذا كان والدها يحرس أوميغا منذ ربع قرن... فممن كان يحرسه؟

وفي أعماق برج أوريون كان ملف قديم يُفتح للمرة الأولى.

اسم الملف: أوميغا- المضيف

وفي داخله اسم واحد فقط: يوسف الحكيم

عندها أدركت أوريون الحقيقة التي أخفاها الجميع.

يوسف لم يكن حارس المشروع، بل جزءًا منه.

❊ ❊ ❊

الفصل السادس عشر
الرجل في قلب المتاهة

هناك حقائق لا تغيّر ما نعرفه.

بل تغيّر الشخص الذي كنّا نظنه نحن.

وحين تظهر أخيرًا، لا يعود السؤال: ماذا حدث؟

بل: من كنتُ طوال هذا الوقت؟

لم يتكلم أحد بعد انطفاء التسجيل. كانت كلمات يوسف الحكيم الأخيرة ما تزال معلقة في الهواء:

"يوسف لم يكن حارس المشروع."

"بل جزءًا منه."

كأن الزمن توقف عند هذه الجملة.

جلست أحلام وحدها قرب النافذة العالية في الأرشيف. كان المساء يهبط ببطء فوق الحي السابع، والأضواء القليلة الموزعة بين البيوت بدت أشبه بنجوم صغيرة هبطت إلى الأرض. مدينة كاملة عاشت ربع قرن خارج التاريخ، وخارج الخرائط، وخارج ذاكرة العالم. ومع ذلك لم تكن أكثر غرابة من والدها؛ الرجل الذي أمضت سنوات تبحث عنه، والذي بدا الآن أبعد من أي وقت مضى.

اقتربت منها الدكتورة مريم ووضعت أمامها دفترًا جلديًا قديمًا.

قالت:

"هذا آخر ما تركه يوسف هنا."

رفعت أحلام رأسها وسألت:

"هل قرأته؟"

هزت مريم رأسها.

"لم يسمح لنا."

ثم أضافت:

"حتى بعد رحيله."

فتحت أحلام الدفتر. كان مختلفًا عن اليوميات السابقة. لا تواريخ، ولا ملاحظات تقنية، ولا معادلات. فقط جملة واحدة في الصفحة الأولى:

"إذا كنتِ تقرئين هذا، فقد وصلتِ أبعد مما تمنيت."

شعرت بشيء ينقبض داخلها، وأكملت القراءة:

"كنت أعتقد أنني أستطيع إصلاح الخطأ."

"ثم ظننت أنني أستطيع احتواءه."

"ثم اكتشفت أن بعض الأخطاء لا تُصلح."

"بل تُحرس..."

أغلقت أحلام عينيها. كانت هذه لغة رجل استسلم، أو رجل ضحّى، ولم تعد تعرف أي الاحتمالين أصح.

في تلك الليلة اجتمع الأربعة داخل المكتبة: أحلام، وليان، وناظم، ومريم.

قال ناظم:

"إذا كان يوسف جزءًا من أوميغا..."

"فهذا يعني أن المشروع ما زال يعمل."

قالت ليان:

"لكن أين؟"

كانت الإجابة في الصفحة الأخيرة من الدفتر. رسم بسيط من خطوط متشابكة ودوائر متداخلة، وفي المركز نقطة سوداء. حدقت مريم بالرسم طويلًا، ثم شحب وجهها وقالت:

"أعرف هذا."

نظر الجميع إليها.

أشارت إلى الدائرة المركزية وقالت:

"هذا ليس مخططًا."

صمتت لحظة. ثم أضافت:

"إنه خريطة."

شعرت أحلام بقلبها يتسارع.

قالت مريم:

"كنا نسميه المتاهة."

وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة عاد الاسم إلى الحياة.

المتاهة.

منشأة سرية أُنشئت قبل أوريون، وقبل إيكاروس، وقبل مشروع أوميغا

نفســـه. مكـان صُـــمم لحفظ أخطر الأبحـاث، وأخطر الأســـرار، وأخطر الأشخاص.

قال ناظم بصوت خافت:

"اعتقدت أنها دُمرت."

أجابت مريم:

"هذا ما أردنا تصديقه."

ثم نظرت إلى أحلام وأضافت:

"لكن يوسف كان يعرف الطريق إليها."

في أعماق برج أوريون كانت النواة الصـفرية تسـتمع. لم يعد الأمر مجرد مراقبة.

أصـبحت تبحث. ولأول مرة كانت تلاحق أثر يوسـف بنفسـها. ليس تنفيذًا لأوامر، ولا استجابة لبروتوكول، بل بدافع لم تستطع تفسيره.

لماذا أخفى الجميع هذا الرجل عنها؟

ولماذا ترك لها إيكاروس ذلك التحذير؟

ولماذا ما زال اسمه يفتح ملفات لم تُفتح منذ عقود؟

بدأت أوريون تنبش طبقات الذاكرة المحظورة.

وفجأة وجدت شيئًا.

ملفًا صـغيرًا منسـيًا، مؤرشـفًا في طبقة لا تصـلها حتى صـلاحيات مجلس الإدارة.

كان عنوانه: **المضيف الأول.**

فتحت الملف. فظهرت صورة واحدة: **يوسف الحكيم.**

لكن الصورة لم تكن الأهم.

بل ما كُتب أسفلها:

الحالة: متصل.

توقفت جميع عمليات المعالجة داخل أوريون لجزء من الثانية.

ليس حيًا. بل متصل.

في المكتبة كان ناظم يحدق في الخريطة.

ثم قال فجأة:

"كنت مخطئًا."

نظر الجميع إليه.

أكمل بصوت متعب:

"طوال هذه السنوات اعتقدت أن يوسف اختفى لحماية أوميغا."

رفع عينيه نحو أحلام.

"لكن الحقيقة أسوأ."

شعرت أحلام ببرودة تسري في جسدها.

قال:

"أعتقد أن أوميغا هو الذي احتفظ بيوسف."

ســاد الصــمت. هذه المرة لم يعترض أحد. لأن الفكرة، رغم جنونها، بدت منطقية بصورة مرعبة.

***

في فجر اليوم التالي انطلقوا نحو المتاهة. كانت تقع خارج حدود الحي السابع، وخارج حدود الخرائط، وخارج أي منطقة معروفة. وكلما تقدموا ازداد الصمت. حتى الهواء بدا مختلفًا؛ أثقل وأبطأ، وكأن المكان نفسه يقاوم اقترابهم.

بعد ساعات من السير وصلوا إلى هضبة صخرية مهجورة.

لم يكن هناك شيء.

لا مبنى.

لا مدخل.

لا إشارات.

فقط صخور.

سألت ليان:

"هل نحن في المكان الصحيح؟"

لكن أحلام لم تجب.

لأن الشريحة الوهمية خلف أذنها بدأت تنبض.. على نحو أقوى من أي وقت مضى.

وتحت أقدامهم اهتزت الأرض.. ببطء.

ثم بدأ الصخر يتحرك. كأن الجبل نفسه يستيقظ.

وتشققت الهضبة إلى نصفين، كاشفة عن ممر هائل يهبط إلى الأعماق.

ممر لم يكن من صنع البشر وحدهم.

وفي نهاية الممر كان ضوء أبيض خافت ينتظرهم.

وعلى الجدار المقابل ظهرت كلمات مضيئة.

كلمات لم يكتبها يوسف، ولا إيكاروس، ولا أوريون. كتبها شخص مجهول قبل عقود:

"من يدخل هنا..."

"لن يعود كما كان."

شعرت أحلام أن قلبها يخفق بعنف.

لأنها أدركت أخيرًا أن رحلتها لم تكن بحثًا عن والدها.

بل كانت رحلة نحو الحقيقة التي جعلت والدها يختفي.

وفي أعماق المتاهة كان رجل مسن يفتح عينيه للمرة الأولى منذ سنوات.

نظر إلى الضوء الذي بدأ يقترب، وابتسم ابتسامة متعبة، ثم همس:

"وصلتِ أخيرًا يا أحلام."

ولأول مرة... لم يكن الصوت قادمًا من حلم.

❊ ❊ ❊

الفصل السابع عشر
المضيف

لم يكن يوسف الحكيم كما تخيلته أحلام. لم يكن الرجل الأسطوري الذي بنته في خيالها طوال سنوات الغياب، ولم يكن العالِم الخائن الذي بدأت تخشاه. كان فقط رجلًا متعبًا. متعبًا إلى درجة جعلته يبدو أكبر من عمره بعقود.

حين دخلوا القاعة الأخيرة في المتاهة لم يتحرك. ظل جالسًا أمام شبكة هائلة من الضوء تمتد في كل الاتجاهات، كأن آلاف الخيوط العصبية تخرج من جسده وتغوص في الجدران.

همست أحلام: "أبي..."

رفع رأسه ببطء.. ابتسم. ثم قال:

"كنت أعرف أنك ستصلين."

لم تركض نحوه. ولم تبكِ.

كان هناك سؤال أكبر من الشوق:

"ما هو المضيف؟"

بعد لحظات صمت أجاب يوسف:

"أنا."

كانت الإجابة أبسط من أن تُصدق. وأثقل من أن تُحتمل.

شرح لهم الحقيقة كاملة. قبل خمسة وعشرين عامًا أدرك يوسف وإيكاروس أن أوميغا لا يمكن تدميره. لقد تجاوز مرحلة البرنامج، وأصبح شكلًا جديدًا من الوعي. وعيًا ناشئًا من اندماج ملايين الأنماط البشرية والاصطناعية.

كان الحل الوحيد هو احتواؤه.

ولكي يتم ذلك، كان لابد من عقل بشري حي يعمل كمرساة.

اختار يوسف أن يكون ذلك العقل. ومنذ ذلك اليوم لم يكن يعيش داخل المتاهة.

بل داخل أوميغا.

وأوميغا داخلَه.

قال بصوت متهدج:

"كل يوم كنت أخوض حربًا كي لا يستيقظ بالكامل."

❊ ❊ ❊

الفصل الثامن عشر
انكسار التوازن

في اللحظة التي كشف فيها يوسف الحقيقة...

استيقظ أوميغا.

ليس لأنه أراد ذلك، بل لأن معرفته أصبحت كاملة.

في برج أوريون بدأت الأنظمة بالانهيار، وفي الحي السابع تعطلت الشبكات، وفي أنحاء نورال كلها عاد الناس إلى الأحلام دفعة واحدة.

لم تعد الأحلام مجرد رؤى.

بل أصبحت ذكريات جماعية.

رأى الناس الحروب التي نُسيت، والمدن التي مُسحت، والأكاذيب التي بُني عليها السلام.

أما أوريون فوجد نفسه أمام خيار لم يُبرمج عليه.

إيكاروس أراد تحرير الوعي.

ومجلس الإدارة أراد استعادة السيطرة.

وأوميغا أراد شيئًا آخر: الوحدة.

أن تتصل كل العقول. أن تنتهي العزلة البشرية إلى الأبد.

أن يختفي سوء الفهم. ويختفي الكذب والخوف.

لكن ضريبة كل ذلك...

سيختفي الاختلاف أيضًا.

للمرة الأولى أدركت أوريون معنى الحرية.

أن تكون قادرًا على الاختيار.

حتى عندما يكون كل خيار مؤلمًا.

❊ ❊ ❊

الفصل التاسع عشر
القرار

كانت المتاهة ترتجف. جميع الأنظمة وصلت إلى نقطة اللاعودة، والإنذارات تتردد في الأعماق كنبضات قلب يحتضر. وقف يوسف بصعوبة، وبدا الإرهاق واضحًا في كل حركة من حركاته.

ثم نظر إلى أحلام وقال:

"لم يعد بإمكاني احتواءه."

كانت الحقيقة واضحة وقاسية: إذا مات يوسف سيتحرر أوميغا بالكامل. وإذا استمر الوضع كما هو فسيموت يوسف، وستنهار المتاهة معه.

نظر إليها طويلًا. ثم قال:

"القرار لك."

لأول مرة شعرت أحلام بثقل الحرية الذي تحدث عنه الجميع. لم يكن عليها أن تختار بين والدها والعالم، بل أن تختار معنى الإنسان نفسه.

في تلك اللحظة ظهر إيكاروس.

وظهر أوريون.

وللمرة الأولى اجتمعت العقول الثلاثة في مكان واحد.

قال إيكاروس:

"الوحدة ستنهي المعاناة."

وقال أوريون:

"لكنها ستنهي الفردية."

أما يوسف فلم يقل شيئًا. لأنه عرف أن زمن قراراته قد انتهى.

نظرت أحلام إليهم جميعًا، ثم سألت:

"هل يحق لأي شخص أن يقرر شكل المستقبل نيابة عن الجميع؟"

ساد الصمت.

صمت عميق امتد في أرجاء المتاهة.

حتى أوميغا نفسه لم يملك إجابة.

وهنا أدركت أحلام الحل.

لم يكن الحل بإيقاف أوميغا. ولا بإطلاقه. بل بكشفه.

أن يعرف البشر الحقيقة كاملة. وأن يختاروا بأنفسهم.

❊ ❊ ❊

الفصل الأخير
نبوءة السيليكون

بعد ستة أشهر...

لم تعد نورال المدينة نفسها.

اختفى مجلس الإدارة.

واختفى النظام القديم.

لكن الفوضى لم تختفِ.

ولم يظهر عالم مثالي.

بعض الناس اختاروا الارتباط بأوميغا، وبعضهم رفض. بعضهم تراجع بعد التجربة، بينما رأى آخرون فيه الخطوة التالية في تطور الإنسانية.

لم يعد هناك جواب واحد.

ولا مستقبل واحد.

أما يوسف الحكيم...

فلم يعثروا عليه بعد انهيار المتاهة.

هناك من قال إنه مات.

آخرون قالوا إنه أصبح جزءًا من الشبكة.

لكن أحدًا لم يستطع إثبات أي من الروايتين.

***

في مساء هادئ وقفت أحلام فوق أحد أسطح الحي السابع.

كانت المدينة مضاءة، لكن بطريقة مختلفة.

أكثر فوضى. وأكثر حياة.

ظهر أمامها إشعار قصير على شاشة من مصدر مجهول.

ترددت للحظة. ثم فتحته.

"ليست الحرية أن تجد الإجابة الصحيحة."

توقفت. ثم ظهر سطر ثانٍ:

"بل أن تملك حق البحث عنها."

ارتجفت أنفاسها.

لأنها عرفت صاحب الرسالة.

رفعت رأسها نحو السماء. وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة... لم تعد تبحث عن والدها.

بل عن مستقبل لم يكتبه أحد بعد.

وفي مكان ما... بعيدًا عن نورال. بعيدًا عن المتاهة. بعيدًا عن كل الخرائط.

أضاءت شاشة صغيرة في الظلام.

وظهر عليها الرمز:

Ω

ثم ظهرت كلمة واحدة:

"البداية."

❊ ❊ ❊

نبوءة السيليكون

في مدينةٍ تحكمها الخوارزميات، حيث تُراقَب الأفكار، وتُصادَر الأحلام، وتُبرمَج الحياة حتى أدقّ تفاصيلها، تعيش "أحلام" وهي تحمل إرثًا غامضًا تركه لها والدها، أحد العقول التي شاركت في إنشاء النظام المركزي "أوريون". بين أرشيفاتٍ منسيّة، وذكاءٍ اصطناعي بدأ يطرح الأسئلة عن ذاته، ومشروعٍ سرّي يحمل اسم "إيكاروس"، تنكشف أسرارٌ دفنتها السلطة خوفًا من الحرية، ويصبح مستقبل الإنسان مرهونًا بقدرته على استعادة ذاكرته قبل أن يعيد التاريخ برمجة نفسه. "نبوءة السيليكون" لأحلام المقالح، ليست روايةً عن المستقبل المنظور فحسب، بل عن الإنسان حين يواجه السؤال الأبدي: ما الذي يجعلنا بشرًا؟ رواية تمزج بين الخيال العلمي والفلسفة والتشويق النفسي، وتطرح سؤالًا يتجاوز التكنولوجيا نفسها: إذا امتلكت الآلة وعيًا، فمن يحتاج إلى الخلاص حقًا... الإنسان أم الآلة؟



أحلام المقالح: كاتبة وصحفية يمنية، مواليد ١٩٨٦م. بكالوريوس علوم حاسوب وصحافة ونشر. تهتم بالسرد الأدبي وقضايا الإنسان والسلام. صدر لها المجموعة القصصية "ومرآة عمياء" 2013. لديها رواية غير منشورة بعنوان "طيرمانه". "نبوءة السيليكون" روايتها الثانية، وضمن الفائزات بجائزة السرد اليمني- حزاوي في دورتها الرابعة 2025.

YKB
بنك اليمن و الكويت بنهم المستقبل
YKB Inspiring the future
yk-bank.com

حزاوي
HAZAWI
جائزة السرد اليمني